الحدث الفلسطيني
صحيفة اقتصادية اجتماعية ثقافية

أيلول 2021 م
العدد القادم تشرين أول 2021 م
Sep. 2021
Next Issue Oct. 2021
العدد 145 | السنة الثامنة

قبل الخبر وبعده ...

رأي الحدث

في ذكرى إدوارد سعيد: بين الخاسر والضحية

رولا سرحان

عندما تحضر ذكرى إدوارد سعيد في هذا الشهر من كل عام، أحاولُ الهروب من عينين خضراوين زجاجيتين ومن ابتسامة صفراء تلحقُ بي لرجلٍ طويل القامة مكتمل البنية أشقر الشعر، هوَ نموذج نمطي للأمريكيِّ الذي نُشاهده في أفلام هوليوود. فكما تصنعُ تلك الأفلام صورة لـ"الشرق" في أعين "الغرب"، فهي بالمثل تفعلُ في الاتجاه المعاكس. في رأسي تحضرُ صورة ذلك الأمريكي المتغطرس، وفي أذني يرن صوته فرحا وهو يُبلغني أمام أصدقاء آخرين، كنا معاً في نيويورك نستعدَ لدخول أحد مَطاعمها، بأن إدوارد سعيد قد مات.
لم أفهم حينها لماذا يُنقلُ خبر موت سعيد بهذا الكم من الابتهاج من شخص يُفترض أنه يعمل بتكليف في وزارة الخارجية الأمريكية على استضافة صحفيين عرب لتحسين صورة الولايات المتحدة في أعين "الشرق" بعد هجمات 11 سبتمبر والغزو الأمريكي للعراق.
كنتُ حينها ما أزالُ في الخامسة والعشرين، حاولتُ قبلها قراءة كتابَي إدوارد سعيد الأكثر شهرة: "الاستشراق" و"الثقافة والإمبريالية"، فاستعصت علي بسبب الجِّدة الفكرية التي تطرحها والتي لم أتمكن من مجاراتها لكثرة الإحالات الأدبية فيها رغم دراساتي للأدب الإنجليزي، فقررتُ أن أبقي سعيد على رف الكتب ماكثاً هناك دون محاولة جريئة أخرى لفهمه. بعد عودتي من الولاياتَ المتحدة، ظل صوت الأمريكي الشامت كالطبل في رأسي، يضربُ سؤالاً بآخر، وأحاول أن أفهمَ ولا أفهم سر الفَرح بالخسارة. لكن شيئا ما تغير أمام خوفي من محاولة ثانية مع كتَب سعيد، فعندما كنتُ أقفُ أمامها كنتُ أستذكرُ كيف أن الأمريكي اختارني أنا دون الآخرين ليبلغني بوفاة سعيد، أنا الفلسطينية الوحيدةُ على طاولة من الصحفيين العربَ المصريين واللبنانيين والمغاربة واليمنيين، وكأن سعيد يخصّني وحدي بما أنا هي الفلسطينيةُ الوحيدةُ المتاحةُ أمامه لإلحاق مزيدٍ من الخسارات بها، وبما هو سعيد فلسطيني مثلي يخرُج مَن صفِّي فيتعزز ضعفي.
يصبحُ شعوري بفلسطينيتي أكثر خصوصيةً، مرتبطاً بحجم الخسارات، الخسارات التي تُعانقُ الفلسطيني فتُصبح جزءاً تكوينياً يُحقِّقُ هويته ويمنحُه معنى وجوده، فالفلسطيني خاسر دائماً، خسر أرضه، وبيته، وتلحقُ به الخسارَاتُ كأنها عاشقة وملهمة له. فما معنى الفلسطيني دون خسارة، وما معنى أن تكون فلسطينياً دون أن تكون خاسراً. يختلفُ الخاسرُ عن الضحية، أو عن ضحية الضحية كما وصَّفها سعيدَ. الفلسطيني خاسرٌ بما هو مدركٌ أو غير مدرك لكينونته كفاعل وكقادر على الفعل، وليس بما يُرسمُ له ككينونة سلبية واقعة تحت تأثير الفعلِ، يُضحى به فيُصبح مجرد مفعول به مصلوبٍ على سَردية ترى التاريخَ لاهوتياً متحققاً بين مضَحٍ ومضحىً به.
الفلسطيني خاسرٌ، لأنه ما زال يعيشُ في كنف المعارك التي لم يتمكن بعدُ من الفوز بها، لكنه ما زال فلسطينياً يُحاولُ أن يخرُج منتصراً، هكذا نفهم المطاردة والاستشهاد والسجن والمخيم والمقبرة أماكن انتصارات أولى، لا لضحايا، بل لمنتصرين يفهمون معنى الخسارة.

إدوارد سعيد في القرن الحادي والعشرين

استلهام الماضي وربطه بالحاضر

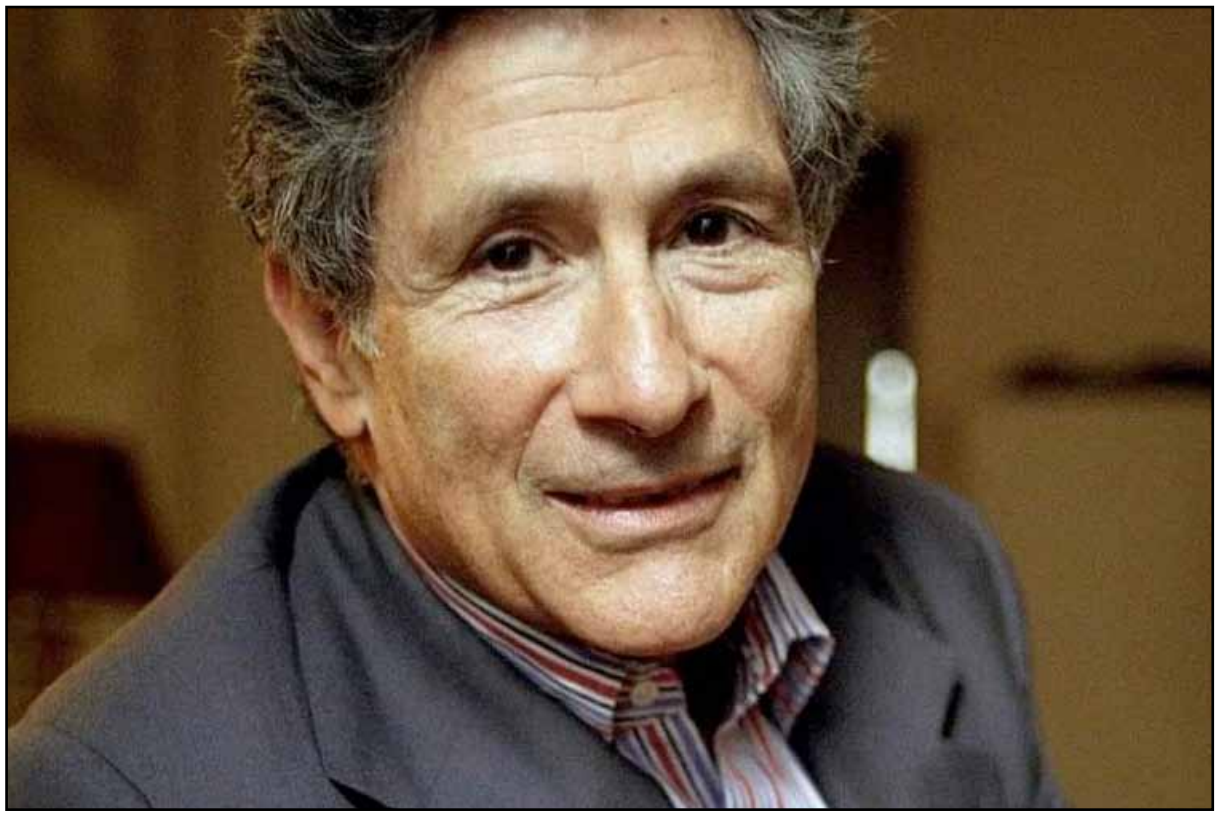

واقع المقاومة في مخيم جنين .. المتغيرات بين عام 2002 واليوم

08

قصة 12 تصريحا لرئيس سلطة الطاقة ظافر ملحم.. والنتيجة صفر

10

ملف العدد

إدوارد سعيد في القرن الحادي والعشرين

استلهام الماضي وربطه بالحاضر

اختلف معه الكثيرون، ومنهم من رفض الحديث عنه، وبعضهم يرى فيه مفكرا استثنائيا، لم يأت أحد مثله بعد، إدوارد سعيد، المفكر الفلسطيني، أو الفلسطيني الأمريكي أو الأمريكي ذو الأصل الفلسطيني، كما يصنفه البعض، سعيد، المناضل على طريقته، والأكاديمي والكاتب والمثقف، الذي كان يستعيد حكايتنا الفلسطينية في مرآة التحولات الكبيرة التي يفرضها الواقع، ليجد نفسه دائما أمام رؤى مختلفة، شكلت تحولات فكرية جذرية بمراحل شتى، وصنعت منه مفكرا منفردا، قادرا على نقل القضية الفلسطينية ببعيدها الإنساني والسياسي إلى "العالم الغربي"، ليدفعه للتفاعل معها، بعيدا عن التأطير النمطي للفلسطيني وفلسطينيته وقضيته.

الحدث- سوار عبد ربه

هذه كلها عوامل جعلت من سعيد واحدا من أهم الأصوات الفلسطينية في المنفى، الذين دافعوا عن القضية الفلسطينية وتركوا برحيلهم فراغا لم يغطه بعده أحد، ما يدفعنا للوقوف عند الآلية التي يمكن من خلالها إحياء ذكرى إدوارد سعيد، ، بل والتعاطي مع ما تركه من إرث فكري وربطه بالحاضر الراهنفه.

كتب سعيد في الاستشراق، ونظرة الغرب إلى العرب والمسلمين، كما كتب عن المثقف وعلاقته بالسلطة، لإدوارد سعيد 18 كتابا في مواضيع مختلفة، وترجمت كتابته إلى ست وعشرين لغة وشملت أمورا سياسية وأدبية وشؤون الشرق الأوسط والموسيقى والثقافة، وغاص عميقا في القضية الفلسطينية، وقدم لها حلولا عدة في مختلف مؤلفاته، يمكن تلخيصها بثلاث مراحل، آمن سعيد في البداية في حق الفلسطينيين في الحياة على كامل الأراضي الفلسطينية، ثم نادى بحل الدولتين، وأخيرا طرح حل الدولة الواحدة ثنائية القومية، وللوقوف عند أسباب هذه التحولات الفكرية الجذرية عند إدوارد سعيد، تواصلت الحدث مع عدد من المثقفين والأكاديميين لسؤالهم عنها.

حل القضية الفلسطينية والتغيرات الفكرية الجذرية على فكر إدوارد سعيد

يرى الكاتب اللبناني نضال خلف أن-»الفكر النقدي الذي تبناه ومارسه سعيد باستمرار، هو ما سمح له بالتعامل مع الواقع بشروطه، بدل التمسك بأفكار لم يعد تطبيقها ممكنا على الأرض، كحل الدولتين، إلى جانب طبيعة المشروع الصهيوني التي لم تتبدل منذ نشأته حتى يومنا هذا، وهو المشروع القائم على بسط سيطرة الغرب على المنطقة الممتدة من المحيط إلى الخليج بهدف تحقيق مكاسب استراتيجية (سياسياً واقتصادياً) ولمنع شعوب المنطقة من تحقيق استقلاليتها على أرضها وفوق مواردها».

وأوضح خلف أن هذه الطبيعة تلغي أي فرصة «للتعايش»، لأنه بطبعه مشروع استعماري إلغائي، وبالتالي حتى من يؤمنون بالتعايش-من أمثال إدوارد-اضطروا لمواجهة «الحقيقة المرة»، بأن هذا المشروع لا يمكن أن يقبل بوجود فلسطيني، الأمر الذي يلغي أي إمكانية لقيام «دولة» فلسطينية بجوار «إسرائيل»، متابعا أن هذا الأمر دفع بالكثيرين من مروجي السلام إلى تبني طرح الدولة الواحدة متعددة القوميات، ولعل ما دفع إدوارد إلى هذا الطرح هو التماهي مع نموذج جنوب إفريقيا، على الرغم من الفروقات الكبيرة بين القضيتين.

وأشار خلف إلى أن فكرة «الدولة الواحدة ذات القوميتين» لا تجد آذانا صاغية في المجتمع الفلسطيني، وهي إن تواجدت، ففي أوساط طبقة لها مصالح مرتبطة بالمشروع الاستعماري.

وعندما طرح إدوارد سعيد هذا الحل، وضع له مبررات عدة، كالامتزاج السكاني والجغرافي بين الطرفين، بالإضافة لنشوء جيل فلسطيني شاب في الداخل المحتل، مع الأخذ بعين الاعتبار الجانب الديموغرافي بمعنى، أنه مستقبلا، سيكون الفلسطينيون والإسرائيليون داخل الأراضي المحتلة، سيكون عددهم متقاربا، بمعنى أنه لن تطغى أغلبية على أخرى.

لكن خلف يرى أنه لم يعد هناك مبرر لمثل هذا الطرح، خاصة وأن المشروع الاستعماري لم يحد يوما عن أهدافه، وعلى رأسها القضاء على الوجود الفلسطيني، بالمقابل، أثبت مسار أوسلو بأن «إسرائيل» لن تكون إلا كيانا عنصريا يعيش على استعباد شعوب المنطقة، وهو ما يجعل فكرة التعايش نقيضة لهذا المشروع.

واعتبر خلف أن سعيد «فشل» في تصور المستقبل من خلال هذا الطرح، ربما نتيجة محدودية النافذة التي ينظر منها إلى الواقع، فالشعب الفلسطيني داخل الأراضي المحتلة عام 1948 اجتهد منذ البدايات للحفاظ على هويته وثقافته، ورغم كل محاولات الأسرلة، فقد أثبت أنه نجح في مقاومته، وما هبته في «سيف القدس» إلا نتيجة من نتائج هذا النجاح، مشيرا إلى أن هذا لا ينفي أن ثمة من سقط في فخ الأسرلة، سواءً في اللهث خلف مقاعد الكنيست أو في خدمة جيش العدو، لكن المجتمع الفلسطيني عامة أثبت فشل هذا «التخوّف».

أما المثقف العراقي علي عزيز فيعزي السبب الرئيسي الذي دفع إدوارد سعيد لهذه التحولات، إلى سياسة الأمر الواقع التي انتهجتها «إسرائيل» بمرور الوقت، فقد كان سعيد يعتقد بإمكانية إرجاع فلسطين كاملة، ولكن مع تآكل الخريطة بفعل الأنشطة الاستيطانية وعمليات الطرد الممنهجة، صار يقبل بحل الدولتين، لكن فشل مفاوضات أوسلو قد أطاح بآماله بدولة فلسطينية مستقلة، إضافة لاستمرار تآكل الخريطة الفلسطينية أكثر فأكثر، ما جعله يقتنع بالدولة الواحدة التي تجمع الطرفين، وهو أمر بعيد المنال.

بدوره، يرى الشاعر الفلسطيني المقيم في لبنان جهاد حنفي أن الدولة ثنائية القومية التي توصل لها سعيد كحل للقضية الفلسطينية في السنوات الأخيرة من حياته، جاءت نتيجة لمحاولته التفكير في حل استراتيجي. ونوه حنفي إلى أن «إسرائيل» ككيان تؤمن أن «المجتمع الإسرائيلي» يمكن أن ينصهر بعد سنوات في المجتمع العربي لأن الغلبة السكانية هي للعنصر العربي، لذلك هي متخوفة، وتفشل أي محاولة لوضع «اتفاق سلام» دائم، وعلى هذا الأساس «قتلت» من صنع معها سلاما، وقبل أن تقتل ياسر عرفات قتلت إسحاق رابين، حتى لا يخطو خطوات كبيرة في هذا المجال، لذلك فإن إدوارد يؤمن بهذا الحل الاستراتيجي باعتبار أن المعركة القادمة هي معركة أجيال وذوبان لهذا الكيان داخل المجتمع العربي أو الفلسطيني، بمعانيه القانونية والأخلاقية والإنسانية.

لكن حنفي يرى أيضا أن إدوارد سعيد لم يستطع أن يقنع العقل العربي والفلسطيني بهذا الحل لأن المجتمع الفلسطيني مشحون بالمعاناة، وتلك الحلول هي حلول طويلة الأمد لا تقنع من يريد أن يحمل البندقية ولا اللاجئ ولا من يعيش في المنفى، ولا تقنع من يعيشون في حصار ولا تقنع أسيرا يكابد في زنازين الاحتلال عشرات السنوات.

أما الأكاديمي الفلسطيني عبد الكريم البرغوثي فيرى أن سبب الحلول المختلفة التي طرحها إدوارد سعيد فترجع لكونه اكتشف أن اتفاقية أوسلو وغيرها تشكل نكبة جديدة للشعب الفلسطيني، إذ أنه الوحيد الذي انفرد من المفكرين بجرأة وبأخلاق عالية في نقد اتفاقية أوسلو، من منظور الذخيرة المعرفية في أن يستشرف المستقبل بأن الاتفاقية ستقود حتما إلى نظام فصل عنصري.

ورغم أن سعيد أيد حل الدولتين، وكان من دعاة السلام والتعايش، وكتب مع الشاعر الفلسطيني محمود درويش إعلان الاستقلال في الجزائر عام 1988 الذي مهد إلى القبول بفكرة حل الدولتين، إلا أنه أدرك أن اتفاقية أوسلو كانت تشكل طريقا لتكريس نظام الفصل العنصري، ومن هنا دعوته المرتبطة بنقده الإنساني القادم من النقد الأدبي، لم يجد بديلا عن أوسلو وعن مشاهداته لتوقعاته عن ماذا سينتج عنها إلا شعار الدولة الواحدة التي تحل من وجهة نظره مشكلة المستوطنين في أرض «فلسطين التاريخية»، والمشكلة الأساسية الفلسطينية.

ويرى البرغوثي أن سعيد في دعوته للدولة الواحدة أوجد تحد للسردية الصهيونية، أن فلسطين «أرض بلا شعب لشعب بلا أرض».

الأثر الذي تركه إدوارد سعيد بعد وفاته

توفي إدوارد سعيد يوم الخميس الموافق 25/9/2003 عن 67 سنة إثر مرض عضال بالسرطان اجتاحه منذ عام 1992، وقيل إن غيابه ترك أثرا كبيرا في الكفاح الفلسطيني في الخارج.

وفي هذا الجانب قال العراقي علي عزيز إن «قلم سعيد كان قلما عن

حوّل واستقبل كاش
بسهولة وأمان من
موبايلك مع تطبيق
"Arabi Wallet"
البنك العربي
ARAB BANK
النجاح مسيرة
بالتل وجوال Ooredoo
1800333333
الشبكات الأخرى والخارج
+97022953333
arabbank.ps
تطبق الشروط والأحكام.
للمزيد من
التفاصيل، يرجى
مسح الـ QR code
أعلاه
حمّل التطبيق الآن
Download on the App Store
GET IT ON Google Play

ألف قلم في وجه الاحتلال، لقد سبب لهم الإزعاج الشديد في المحافل العالمية، وكان صوت من لا صوت لهم، ولهذا يمكن القول بأن الكفاح الفلسطيني في الخارج بوجود سعيد ليس ذاته بعد وفاته، فهو مفكر ذو إرادة صلبة لدرجة أنه كان يمارس نشاطه حتى في أحلك ظروف مرضه».

أما الأكاديمي كريم البرغوثي فيرى أن إدوارد سعيد كتب كثيرا عن فلسطين، واجتهد في تعريفها وفي إبراز الرواية التاريخية الفلسطينية من خلال وسائل بصرية، كي يفند الرواية الصهيونية، وخسارته كانت خسارة لمثقف عالي القامة، محترما في بلده، وبالتالي صوته له قيمة أخلاقية عالية في مواجهة القوى الإمبريالية المتحالفة مع الصهاينة، مضيفا أن الفلسطينيين دائما ما يبحثون عن رمز لهم، ولا أحد بقيمة إدوارد سعيد لأنه شخصية فذه، كونه غير مرتبط بنظام معين، مختصرا توصيفه بأنه «بطل من هذا الزمان».

بدوره، اعتبر الكاتب نضال خلف أن إدوارد سعيد عبد الطريق للخطاب الفلسطيني في الخارج، والأهم أن تشجيعه الفكر النقدي المنطلق من ثوابت وطنية قوامها الحق والكرامة كان ليشكل دفعا إضافيا للوعي الفلسطيني.

ومما لا يدركه كثيرون، بأن سعيد كان معارضا بشدة لمسار أوسلو، وقد تعمق إيمانه بالمقاومة كسبيل وحيد لتأمين الحق الفلسطيني، وهو بذلك كان ليكون صوتاً صارخاً بوجه سياسات التفريط والاستسلام التي جلبت الهزائم لشعبنا وقضيته، بحسب خلف.

ماذا لو عاش إدوارد سعيد في القرن الحادي والعشرين؟

متغيرات كثيرة طرأت على القضية الفلسطينية منذ وفاة إدوارد سعيد، أبرزها عودة مسار المقاومة الفلسطينية على مراحل وهناك هبات مختلفة عايشها الشعب الفلسطيني على امتداد «فلسطين التاريخية»، لذا كان لا بد من الوقوف على سؤال افتراضي عما إذا كان سعيد موجودا بيننا، فهل سيطرأ تغير ما على فكره وطرحه لحل القضية الفلسطينية؟

اعتقد الكاتب نضال خلف أن سعيد سيكون داعما للمقاومة الفلسطينية، وإن كان سيتجنب دعم فصائل باسمها، ومن الممكن أن نراه أكثر صخباً في دعم الهبّات الشعبية كما حدث في «سيف القدس». لكنّه وبدون شك، كان سيكون معارضاً لنهج أوسلو وداعماً أولاً لإسقاطه.

أما الشاعر جهاد حنفي فرأى أنه لو كان موجودا بيننا لاقتنع تماما أن الوضع لم يتغير كثيرا عما كان عليه في السنوات السابقة، وإن اختلفت بعض الحيثيات، ولكن هناك أمورا إيجابية أصبحت أكثر حضورا في واقعنا بحسب حنفي، تتمثل في مشهد المقاومة والممانعة في العالم العربي ومشهد الفلسطيني الذي يعيش في أراضي ال48، وهو الذي كان دائما يراهن على هذا الجيل، لذلك أعتقد أنه بطروحاته السياسية سيعيد طرح الدولة الفلسطينية المستقلة الكاملة وسيعيد إلى وعيه فكرة الكفاح المسلح لانتزاع الحرية، بعدما طرح على مدار سنوات حل الدولة الواحدة وحل الدولتين ولم يتلق هذا الطرح قبولا في المجتمع الإسرائيلي نفسه».

من جانبه، اعتبر عبد الكريم البرغوثي أن التحولات التي جرت على موقفه فيها شيء أصيل وجوهري وثابت وهو عدالة القضية، موضحا أنه كان مع التفكر والتأمل في حلول تضمن العدالة والإنسانية، ومن هنا تأتي قوة طرح سعيد بأنه إنساني متعال عن العنصرية والطائفية، حتى عن «الفلسطنة» المبالغ فيها، بمعنى اعتبارنا «نحن الفلسطينيين حالة خاصة»؛ لكن يوجد شعوب عاشت أوضاع شبيهة واستطاعت تجاوز هذه المراحل، فسعيد لم يكن نرجسيا فلسطينيا كما هي حال الكثير من المفكرين والكتاب.

كيف يمكن إحياء فكر إدوارد سعيد؟

أجمع المتحدثون على أن إدوارد سعيد يمثل علما مضيئًا ومرجعية فكرية وثقافية ووطنية، لذلك فلا بد من استلهام تجربته الفكرية، مع الإشارة إلى عدم ضرورة الأخذ بكل طروحاته.

وبحسب الكاتب نضال خلف فإن أهم ما يجب استحضاره من فكر إدوارد سعيد هو العقل النقدي، معتبرا أن قراءة الواقع وشروطه

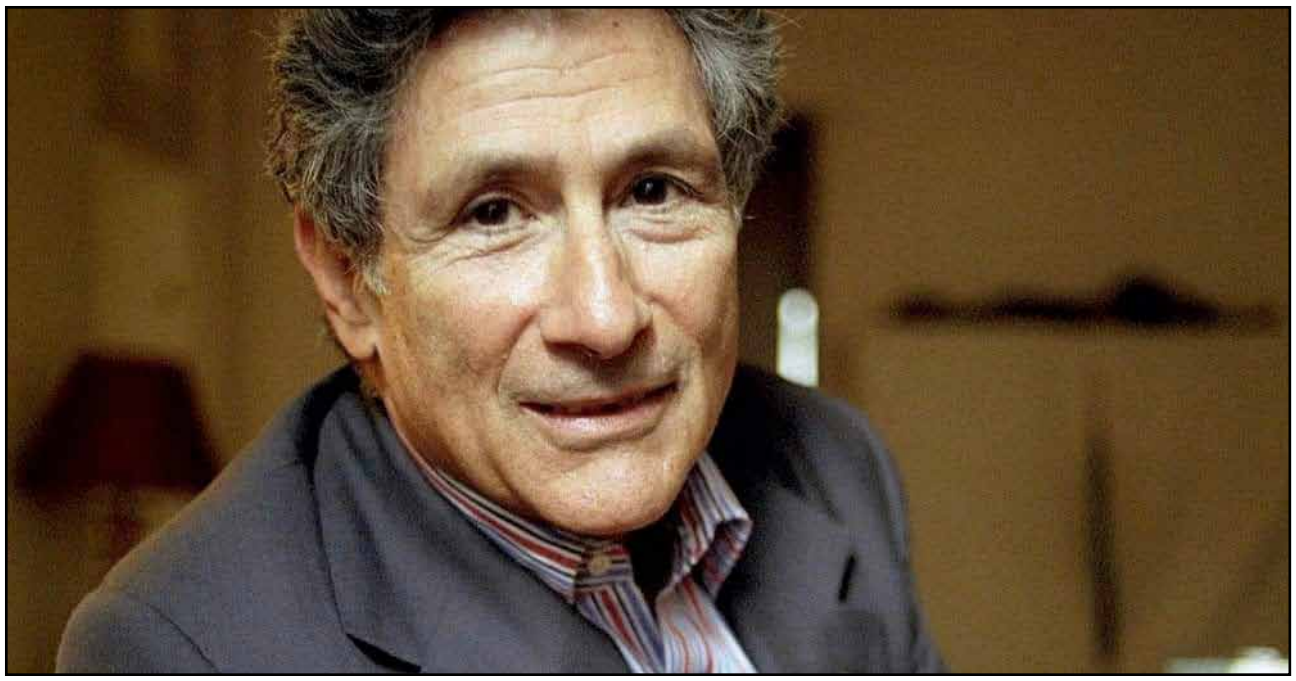

ضرورة للخروج بأدوات صحيحة للتعامل مع ظروف الواقع وفرض شروطنا فيه.

وبات ملحا أن نستعيد استنتاجات إدوارد فيما يخص الاستشراق وتأثيره علينا كشعب مستعمَر، تحديداً من ناحية تعريف واقعنا وسردية تاريخنا، وقدر الهيمنة الغربية عليهما، لأنه قدم تجربة سياسية فريدة حملت الكثير من العيوب، لكنها حملت أيضا أُسُساً مهمة لبناء فكر وطني علميّ قادر على هزيمة المشروع الاستعماري في بلادنا، وفقًا لخلف.

أما المثقف علي عزيز فيرى أنه كان بالإمكان استثمار أفكار سعيد ومقترحاته أثناء مفاوضات أوسلو، إلا أنه لم يحدث، مشيرا إلى إمكانية تصحيح ذلك بعمل جولة مفاوضات جديدة في ظل تنامي قدرة المقاومة الفلسطينية، واستثمار مقترحات سعيد القائلة بمعاملة "إسرائيل" بموقف الند للند ومحاولة إيقاف المد الاستيطاني والعودة قدر الإمكان لحدود 1967، وليس بالخضوع وترك الأمور لأهواء الولايات المتحدة "وإسرائيل".

وبحسب عبد الكريم البرغوثي فإن أهم ما يجب إحياؤه من إدوارد سعيد هو عدم الكسل والكلل والبحث الدؤوب والمستمر، إلى جانب عدم الوقوع في أسر أيديولوجيا متزمتة أو متعصبة، فإدوارد سعيد كان دائم الترحال، بالإضافة إلى اقتناعه بعدم الوصول لحقيقة مطلقة يقينية.

ووفقا للبرغوثي فإن ذلك يحدث من خلال دور الصحافة والإعلام إلى جانب التعليم المدرسي والجامعي، بشرط توافر حرية التعبير التي تكاد تختفي في عالمنا العربي والفلسطيني، فاستلهام سعيد يعني استلهاما لمشروع الحرية، الأمر الذي يتطلب جرأة أدبية ونضالا في سبيل الحرية.

ماذا يمثل إدوارد سعيد للمفكرين الجدد وللشباب؟

يرى الكاتب نضال خلف أنه يوجد أكثر من "إدوارد سعيد" في وعي الجيل الشاب، بحسب مشاربهم الأيديولوجية، فمنهم من يرى إدوارد المفكر الليبرالي الداعي للتعايش والسلام، وهناك من يرى فيه مثقفاً ثورياً مناهضاً للاستعمار، مشيرا إلى صعوبة تحديد أي الجانبين يطغى على الآخر.

ويعتبر خلف أن أثر إدوارد على الجيل الشاب هو أثرٌ سطحي، بحيث أنّ التأثر به لا يتعدّى التغني ببعض كتاباته وآرائه، وقد بات اسماً جاذبا لتحسين صورة مدّعي الثقافة، في حين أنّ أكثر ما كان ليسعد إدوارد هو نقاش آراءه ودحضها إن أمكن.

بينما يرى الشاعر جهاد الحنفي أن المفكرين الجدد انبهروا بالطريقة المنهجية الاستراتيجية التي يفكر بها إدوارد سعيد فهو يمثل مرجعية ثقافية وبإمكان تطويرما طرحه إدوارد سعيد من خلال قراءاتهم لهم، معتقدا أن المفكرين الجدد الفلسطينيين ليسوا على اقتناع تام بحل دولة ثنائية القومية ولكنهم على اقتناع تام أن إحدى أهم أسلحة المعركة مع العدو الإسرائيلي هو الوعي والذاكرة والفكر.

أما عن جيل الشباب عامة فمن المرجح أن إدوارد سعيد غائب عن الأذهان إلى حد ما، وذلك يعود لجملة من الأسباب أجمع عليها المتحدثون الأربعة والمتمثلة في: محاربة محتواه محليا ودوليا، إلى جانب قلة اهتمام هذا الجيل بالبحث والمطالعة.

وعن هذا، قال الكاتب نضال خلف إن غياب إدوارد سعيد عن الأذهان يعود لسببين: أولا: محاربة محتواه وشيطنته، وهو ما حدث تحديداً بعد إصداره كتاب "غزة-أريحا: سلام أمريكي" الذي انتقد فيه بشدة القادة الفلسطينيين، فقام هؤلاء بمنع كتب إدوارد في عدد من البلدان العربية. ثانيا: طبيعة محتوى إدوارد سعيد ذات الطابع النخبوي، وقليلة هي المحاولات لتوسيع رقعة أفكاره وطروحاته لتشمل فئات اجتماعية أكبر وأهم من "النخب"، هذا إلى جانب أزمة الثقافة والهوية.

أما المثقف العراقي علي عزيز فيرى أن الشاب العربي قليل القراءة، كما أن الشاب العربي يعاني على الدوام، فهو يعيش في ظل دكتاتوريات جائرة، لا تعطيه المجال للتنفس، ولهذا صارت القراءة ترفاً ذهنياً بالنسبة للكثير من الشباب العربي والفلسطيني، الذين يركضون خلف لقمة عيشهم.

وتابع عزيز: «الشباب الفلسطيني كطائر الفينيق، الذي ينهض من رماده من جديد كلما احترق، ولهذا فالمثقفون الشباب لا يهتمون كثيراً بمقترح سعيد بحل الدولة الواحدة، إنما يسعون لدولة فلسطينية ذات سيادة، وفق حدود 1967. صحيح أن سعيد يمثل أحد رموز المقاومة بالنسبة لهم، إلا أنهم لا يميلون كثيراً لاعتناق آرائه الداعية لحل الدولة الواحدة.»

في المقابل اعتبر الشاعر جهاد الحنفي أنه ليس صحيحا أنهم لا يعرفون هذا الاسم، فهناك فئة كبيرة من الشعب الفلسطيني قرأت لإدوارد سعيد وأعجبت بأفكاره ووعيه خاصة أنه كان يعيش في الغرب ما ساهم في تعزيز صورته القوية في الشارع الفلسطيني، ولكن هناك فئة أخرى تعاني أزمة قراءة ووعي تماما كأي شارع عربي، مؤكدا أن الشارع الفلسطيني يبقى على نوع من المحافظة والتقديس للقامات الفلسطينية الأفكرية.

ويوجد سبب آخر لانحراف قراءة الجيل عن إدوارد سعيد بحسب الحنفي وهو خلافه مع ياسر عرفات الذي منعت على إثره مقالاته من الصحف الفلسطينية.

أما الأكاديمي عبد الكريم البرغوثي فاعتبر أن ذلك يرجع لسبب عام عالمي يتمثل في نمط استهلاك المعرفة بطريقة القشرية واختزال المعرفة في جمل، أي أنه لا يوجد داع لنعرف.

كما أنه يوجه اللوم للنظام التربوي التعليمي في فلسطين، وسياساتها التي تظهر أشخاصا وتقصي آخرين. وأشار البرغوثي إلى أن السلطة تسعى إلى ترويج روايتها، وللترويج لأسماء «المحسوبين عليها»، بينما تتم التغطية على الشخصيات التي وصفها بالمشاكسة

تقرير

شهر إدوارد سعيد..مقاله الأخير: "الأنسنية آخر حصن ضد الهمجية"

نشر إدوارد سعيد مقالةً أخيرةً له في صحيفة لوموند ديبلوماتيك الفرنسية، والتي كان يداوم على الكتابة فيها، بتاريخ 2 آب 2003، بعنوان "L'humanisme, dernier rampart contre la barbarie"، والتي ترجمت إلى الإنجليزية لاحقا ونشرتها صحيفة الجارديان، وترجمت إلى العربية ونشرها موقع جدلية. غير أن ما يستدعي إعادة ترجمتها عربياً متعلقٌ بشكل أساسي بحذف أفكار وفقرات مهمة من المقالة تتعلق بموقف سعيد من الحالة الاستعمارية التي تعيشها فلسطين، وفكرته عن التعايش ما بين مستَعمِر ومستَعمر، وتوصيفه للعمليات الاستشهادية. وإذ أترك للقارئ هنا مساحةً لإعادة الاطلاع على هذه الأفكار والتي تشكل جزءا تكوينياً من فكر إدوار سعيد الكلي، فإنني أرغبُ أيضاً في إحالته للتفكير معي في مصطلح مهم آخر تطرق له سعيد مرارا وهو: Humanism.

الحدث- ترجمة: رولا سرحان

إذ فرض مصطلح «Humanism» الذي استخدمه إدوارد سعيد كمفهوم مركزي في مقالته هذه، تحدياً لغوياً وفكريا لجهة المقصود به، فهل كان يقصدُ - إذا ما ترجمناه إلى العربية- «الإنسانية» بما هي اصطلاحاً تُحيل إلى إنسانية المرء وكل ما يترسبُ فيها أيضا من حمولة فكرية وفلسفية تحملنا إلى أرسطو وأفلاطون ومنظري الحداثة؛ أم أنه قصد «الإنسانوية»، بما هي منهجٌ فكري يتجاوز «الإنسانية» الفلسفية والمثالية إلى ضرورة أنسنة المحيط السياسي والاجتماعي والاقتصادي، بما يليق بإنسانية الإنسان وتمركزه في بؤرة المنظومة المكونة للوقائع التي تحيطُ به؛ أم أنه قصد الجمع بينهما؟

وللخروج من تعالقية المصطلحات، يمكنُ الالتجاءُ إلى الطريقة ذاتها التي اتبعها سعيد في مجادلاته المعرفية المركزية المتعلقة بضرورة تفكيك العلاقات الداخلية للنص كما العلاقات الخارجية المتعلقة بالمعرفة وبالسلطة، بما فيها سلطةُ المؤلف. ورغم أنه من الصعوبة بمكان فصلُ سعيد (المؤلف) عن النص (المُؤلَّف)، لأن سعيد، يحضُرُ بتجاربه الشخصية، وسرديته الذاتية، ومخزونة المعرفي داخل نصوصه -وتحديداً مقالاته الصحفية التي تأتي انعكاساً لتجارب وأحداث عاشها وعلق عليها- فلا تحل وصاية القارئ على النص محل المؤلف الوصي الأول كما نظر لذلك رولان بارت، بل يصبحُ الادعاء بـ «موت المؤلف» سعيد أكثر استحالةً، لأن سعيدُ يحاولُ دائما التماهي مع أفكاره التي يربطها خيطُ الإنسانية/ الإنسانوية ببعضها البعض لتشكل قيمة «الأنسنية» بما هي صفة وممارسة، ولتشكل فضاءً ما تحت نصي يقبعُ كالظل الملازم للنص الأصلي ويمكن استشعارُ وجوده أينما حاول سعيد التنظير لضرورة تفكيك منظومة العنف والسيطرة والاستغلال والاستعمار وإساءة البشر للبشر ولإنسانيتهم.

فإذا ما تخلصنا من سلطة سعيد على نصه الأخير هذا، ووضعناه كتذييل لكتابيه الأساسيين «الاستشراق» و«الثقافة والإمبريالية» وتمكناً من أخذه في قراءة طباقية -كما يفعل- يمكنُ الادعاء بأن هدف سعيد النهائي كما يطرحُ في مقالته هذه الدفاع عن الإنسان ضد الهمجية بما هي صفةٌ تنزع عن الإنسان إنسانيته وتحوله إلى «لا إنسان» قادر على ارتكاب البشاعة والتسبب في الألم. فكلما كان الإنسان قادراً على ارتكاب «الهمجية»، كلما كان أبعد عن إنسانيته. ولأن «الهمجية»، غير مقتصرة على الإنسان بما هو فاعلٌ بحد ذاته، وإنما تأتي أيضاً ضمن منظومة تتبناها أو تبتكرها، تكون هذه المنظومة أبعد عن «الأنسنية»، بما هي مجموعة من البنى والتراكيب تحافظُ على إنسانية الإنسان. إذ من الصعب في المجتمعات الحداثية، وشبه الحداثية، التي نعيش في كنفها، أن نضمن تحقيق الإنسان لإنسانيته، دون أن تحيط به منظومة «أنسنية» لا يمكنُ إحتواؤها في مكان أو اقتصارُها على فئة من البشر أو تحويلها إلى هبة. فالسعيُ إلى الإنسانية عبر الإنسانوية لتحقيق منتهى الأنسنية ما هو إلا سعيٌ نحو فهم مجادلة سعيد بأن أساس الأنسنية هو تقديرُ الاختلاف من منظور ينطلق من عدم ادعاء معرفة الآخر معرفة جوهرية. وتقبل هذه الحقيقة يعني تقبل فكرة محدودية الإنسان وبالتالي محدودية سلطته وقوته. وهذا الإدراك العقلاني، لمحدودية القوة والفاعل والفعل، هو أساس الخروج من مأزق السقوط في هاوية الهمجية، بل والطريق نحو الأنسنية.

كما يلاحظُ القارئ، فإن ما أحاولُ القيام به هو الجمع ما بين مفهومي «الإنسانية والإنسانوية» في مصطلح ثالث هو «الأنسنية»- الذي صكه فواز طرابلسي- بادعاء أنهما يكملان بعضهما البعض، وباعتبار عملية جمعهما قد تمنح القارئ والمؤلف حيزاً أرحب في التنقل بين فكرة سعيد المقتضبة في كلمة "Humanism"، بكل حمولاتها الدلالية والمعرفية، هنا يُصبحُ مفهوم «الأنسنية»، لفظة تحمل صيغة تحول في الصيرورة التي يبتغيها سعيد: فكأنما هي صيغةُ الانتقال نحو الإنسانية بما هي قيمة عليا تتحقق فيها معاني الكرامة والفردية الذاتية ضمن المجموع الكلي من الذوات الكريمة المضيافة التي تهيئ مجالاً في حيزها الروحي والثقافي لاستيعاب الآخر واستضافته داخلها دون أن يُشكل هذا الآخر تهديداً لها. وهذه الصيرورة لا تتحقق دون أن تكون محتواةً ضمن منظومةٍ تحميها في مقابل أخرى تكافحُ ضدها.

من هنا، كان لا بد من استصلاح مفهوم ثالث قادر على الجمع ما بين «الإنسانية والإنسانوية»، وهو ما فعله فواز طرابلسي في ترجمته لكتاب إدوارد سعيد «الأنسنية والنقد الديموقراطي»، الصادر عن دار الآداب بنسخته العربية عام 2005، مشيراً فيه إلى أنه اعتمد تعبير «الأنسنية» للدلالة على المذهب الفكري الذي يقول، إن الإنسان هو أعلى قيمة، أما «الإنسانيات» فهي مادة الدراسة الجامعية التي تُعنى باللغات والفنون والآداب والتاريخ. أما «الإنسانوية» فتستخدمُ في ترجمة فواز طرابلسي للدلالة على الميل أو النزوع إلى الإنسانية وادعائها.

من هنا تصبح «الأنسنية»، كما يشرحها إدوارد سعيد نفسه في كتابه المذكور، وفي مقالته المترجمة أدناه، باعتبارها ممارسة مستدامة وفعلا وممارسة نقدية وليس مجرد عملية استحواذ، وهي تفكر في ماهية النشاط الأنسني بديلا من تقديم لائحة بالصفات المرغوب توافرها في الملتزم بالحركة الأنسنية. ليكون ما يبتغيه سعيد متمثلاً في ممارسة التدقيق النقدي للأمور بما هي نتاج للعمل البشري وللطاقات البشرية نحو التنوير والتحرر، تحرر الإنسان.

مقالة سعيد

قبل تسع سنوات، كتبت تذييلا لـ كتاب «الاستشراق»: ركزتُ فيه، ليس فقط، على السجالات العديدة التي أثارها الكتاب منذ صدوره في عام 1978، بل أيضًا على حقيقة أن دراستي لتمثلات «الشرق» كانت موضوعًا لسوء التفسير المتزايد. أما الآن فردةُ فعلي هي أقرب إلى السخرية منها إلى الغضب، بما يظهر أن التقدم في العمر يدركني. لقد جلبت علي وفاة ناصحيَّ على المستوى الثقافي والسياسي والشخصي، إقبال أحمد وإبراهيم أبو لغد، حزنًا وأسى، ولكنها جلبت معها أيضًا عزماً على المضي قدمًا.

تصف سيرتي الذاتية، «خارج المكان»، العوالم الغريبة والمتناقضة التي نشأت فيها، وتعطي فكرة عن التأثيرات التي عشتها خلال شبابي في فلسطين ومصر ولبنان. لكن هذه القصة تنتهي قبل بدء مشاركتي في الحياة السياسية عام 1967، بعد حرب الأيام الستة. أما كتاب الاستشراق فأقرب بكثير إلى اضطرابات التاريخ المعاصر، فهو يبدأ بوصف، كتب في عام 1975، للحرب الأهلية في لبنان - التي انتهت عام 1990. بيد أن العنف وحمامات الدم ما زالت مستمرة حتى يومنا هذا، كما وفشلت عملية السلام التي انطلقت في أوسلو، واندلعت الانتفاضة الثانية، ويكابد الفلسطينيون معاناة رهيبة في الضفة الغربية المحتلة كما في قطاع غزة.

وبرزت ظاهرة التفجيرات الانتحارية، بكل ما ترتب عليها من نتائج بشعة، لا تقل فظاعةً وترويعاً عن أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001 وما تلاها من حروب اندلعت ضد أفغانستان والعراق. وبينما أكتب

هذه السطور، يستمر الاحتلال الإمبريالي غير الشرعي للعراق من قبل الولايات المتحدة وبريطانيا الذي كانت له عواقب وخيمة. بحيث يتم التعاطي مع كل ذلك على أنه جزء من «صدام الحضارات» الذي لا ينتهي ولا هوادة فيه ولا رادَّ له؛ لكنني أخالفُ هذه الفكرة.

كنتُ أود لو أنني أستطيع التأكيد على أن الفهم العام الذي كونه الأمريكيون عن الشرق الأوسط والعرب والإسلام قد تحسن قليلاً، لكن للأسف ليس هذا واقع الحال. ولأسباب عديدة، يبدو الوضع في أوروبا أفضل بكثير. ففي الولايات المتحدة الأمريكية، ينعكس تصلُّبُ المواقف وتزايد نفوذ التعميمات المتعالية، وكليشهات الانتصار، وهيمنة سلطة فجة تحتقر المعارضين و»الآخرين»، في نهب وتدمير المكتبات والمتاحف العراقية.

وعلى ما يبدو فإن قادتنا وأتباعهم من المثقفين غير قادرين على فهم أن التاريخ لا يمكن محوه مثلما نمحو السبورة كي نتمكن «نحن» من كتابة مستقبلنا عليها وفرض أسلوب حياتنا على الشعوب «الدنيا».

وكثيرًا ما نسمع كبار المسؤولين في واشنطن، أو في أية أماكن أخرى، يتحدثون عن إعادة رسم حدود الشرق الأوسط، كما لو أن مثل هذه المجتمعات العريقة وشعوباً بمثل هذا التنوع يمكن خلطها في وعاء مثل حبات الفول السوداني. ومع ذلك، كان ذلك هو ما يحدث غالباً لـ «الشرق»، ذلك البناء الشبه الأسطوري الذي أعيد تشكيله مراراً منذ غزو نابليون لمصر في نهاية القرن الثامن عشر. وفي كل مرة، يتم تبديد بقايا التاريخ التي لا تعد ولا تحصى، والحكايات التي لا نهاية لها، والتنوع المذهل للثقافات واللغات والشخصيات، ويتم نسيانها، وترمى في الصحراء مثل الكنوز التي نهبت من بغداد ليتم تحويلها إلى قطع مبعثرة فاقدة لكل معنى.

إن التاريخ، في نظري، هو من صنع الرجال والنساء، ولكن يمكن أيضًا التراجع عنه وإعادة كتابته بفعل الصمت، والحذف، والصيغ المفروضة والتشوهات المسموح بها، بحيث يصبح شرقــ «نا» ، أو «شرقنا» ، حقًا «لنا» ، يمكننا امتلاكه وقيادته. ويستوجب علي تكرار قولي ثانية بأنه ليس لديَّ شرق «فعلي» أدافع عنه. لكنني في المقابل، أكن احتراما عظيماً لمقدرة هذه الشعوب على الدفاع عن رؤيتها الخاصة لما هي عليه وما تريدُ أن تكونه.

لقد شُنت هجمات واسعة النطاق، بعدوانية مدروسة، ضد المجتمعات العربية والإسلامية المعاصرة بتهمة التخلف وانعدام الديمقراطية والاستخفاف بحقوق المرأة، لدرجة جعلتنا ننسى أن مفاهيم مثل الحداثة والتنوير والديمقراطية ليست بأي حال من الأحوال مفاهيم بسيطة ولا لبس فيها، وأنه سينتهي الأمر بالجميع دائمًا إلى اكتشافها، مثل بيض عيد الفصح المخبأ في الحديقة. إن الانعدام المذهل للوعي لدى هؤلاء الناطقين الرسميين الاستعلائيين الشباب، الذين يتحدثون باسم السياسة الخارجية دون امتلاك أدنى فكرة حية (ولا أدنى معرفة بلغة الناس العاديين)، جعل المشهد مهيأ وجاهزًا للترحيب بالقوة الأمريكية لـ «ديمقراطية» السوق الحرة المبتذلة، ودون حاجةٍ إلى معرفة اللغة العربية أو الفارسية أو حتى الفرنسية للتبجح بأن ديموقراطية أحجار الدومينو هي أكثر ما يحتاجه العالم العربي.

ولا علاقة لإرادة فهم الثقافات الأخرى بغرض التعايش وتوسيع آفاق المرء بإرادة الهيمنة. إن هذه الحرب الإمبريالية - التي دبرتها مجموعة صغيرة من المسؤولين الأمريكيين غير المنتخبين وشنت ضد دكتاتورية العالم الثالث المدمرة أصلاً، لأسباب أيديولوجية مرتبطة بالرغبة في الهيمنة على العالم والسيطرة الأمنية والسيطرة على الموارد الطبيعية النادرة في العالم الثالث- هي بالتأكيد إحدى الكوارث الفكرية في التاريخ، لا سيما لأنه تم تبريرها والحث عليها من قبل المستشرقين الذين خانوا رسالتهم كباحثين. لقد مارس خبراء في العالم العربي والإسلامي مثل برنارد لويس وفؤاد عجمي تأثيرًا كبيرًا على البنتاغون ومجلس الأمن القومي التابع لجورج دبليو بوش، حيث ساعدوا الصقور على التعاطي مع أفكار مضللة مثل «العقل العربي» و»الانحطاط الإسلامي المستمر منذ قرون».

وتمتلئ المكتبات الأمريكية اليوم بأعداد ضخمة من العناوين الصارخة التي تستثير الصلة بين «الإسلام والإرهاب» و «كشف الإسلام» و «التهديد العربي» و «المؤامرة الإسلامية»، والتي كتبها منظرون سياسيون يدعون أنهم استمدوا معلوماتهم من خبراء يزعمون أنهم سبروا أغوار هذه الشعوب الشرقية الغريبة. وقد استفاد دعاة الحرب هؤلاء من دعم القناتين التلفزيونيتين CNN و Fox News TV ، بالإضافة إلى عدد لا يحصى من الإذاعات التبشرية والمحافظة والصحف الصفراء وحتى بعض الصحف المحترمة، التي انشغلت جميعها باجترار نفس التعميمات المغلوطة من أجل تعبئة «أمريكا» ضد الشياطين الأجنبية.

ولولا هذا الانطباع الذي نشأ بعناية عن كون هذه الشعوب البعيدة ليست مثلنا «نحن» ولا تقبل «قيمنا»، وهي الكليشيهات التي تشكل جوهر العقيدة الاستشراقية، لما قُدر لهذه الحرب أن تحدث. أحاط كل الأقوياء أنفسهم بمثل هؤلاء الباحثين المأجورين، من الغزاة الهولنديين لماليزيا وإندونيسيا، والجيوش البريطانية في الهند وبلاد ما بين النهرين ومصر وغرب إفريقيا، والوحدات الفرنسية في الهند الصينية وشمال إفريقيا. ويستخدم أولئك، الذين يقدمون النصيحة للبنتاغون والبيت الأبيض، نفس الكليشيهات، ونفس الصور النمطية المزعجة، ونفس التبريرات التي تبيح استخدام القوة والعنف. وتكرر الجوقة عبارة: «بعد كل شيء، هؤلاء الناس يفهمون لغة القوة فقط». ويضاف إلى هؤلاء المستشارين، في العراق، جيش حقيقي من رجال الأعمال الرياديين من القطاع الخاص الذين سيوكل إليهم كل شيء، من نشر الكتب المدرسية إلى صياغة الدستور وإصلاح الحياة السياسية، إلى إعادة تنظيم صناعة النفط.

ودائمًا ما تدعي كل إمبراطورية جديدة أنها مختلفة عن تلك التي سبقتها، وتؤكد أن الظروف استثنائية، وأن مهمتها هي إيصال الحضارة، وإقامة النظام والديمقراطية، وأنها لا تلجأ إلى القوة إلا كملاذ أخير. أما الجزء المحزن، فهو هذا التواجد الدائم للمثقفين الذين باستطاعتهم استخدام كلمات منمقة للحديث عن إمبراطوريات الخير أو الإيثار.

بعد خمسة وعشرين عامًا على صدور كتابي، يدفعنا «الاستشراق» للتساؤل عما إذا كانت الإمبريالية المعاصرة قد اختفت يومًا ما، أم أنها في الواقع ما تزال مستمرة منذ دخول بونابرت إلى مصر قبل قرنين من الزمان. لقد قيل للعرب وللمسلمين إن لعب دور الضحية في ظل إصرار الإمبراطوريات على النهب ما هو إلا وسلية للتهرب من مسؤولياتهم الحالية، فيما يقول المستشرق المعاصرُ:» لقد فشلتم، لقد أخطأتم».

كل ما بدأ مع بونابرت استمر مع تطور الدراسات الاستشراقية وغزو شمال إفريقيا؛ وفي بدايات القرن العشرين، تطورت أبحاث شبيهة حول كل من فيتنام ومصر وفلسطين بالتزامن مع السعي من أجل السيطرة على نفط وأراضي الخليج والعراق وسوريا وفلسطين وأفغانستان. بعد ذلك، ظهرت مختلف القوميات المناهضة للاستعمار، وبعد حقبة وجيزة من عهد حركات الاستقلال التقدمي، جاء عهد الانقلابات العسكرية، والانتفاضات، والحروب الأهلية، والتعصب الديني، والمعارك اللاعقلانية، وعودة الوحشية المطلقة ضد آخر جماعات «السكان الأصلانيين». وستؤدي كل مرحلة من هذه المراحل إلى الدفع باتجاه ظهور النظرة المشوهة للآخروالصور الاختزالية والسجالات العقيمة.

من خلال كتاب الاستشراق، كنت أود الاعتماد على النقد الأنسني من أجل توسيع مجالات النضال المحتملة. وعلى المدى الطويل، كنت أرغب في الاستعاضة عن اندفاعات الغضب اللاعقلاني الذي يأسرنا وأن أستبدله بفكر وتحليل أكثر عمقاً. وأطلقت على ما أحاول القيام به مصطلح «الأنسنية»، وهي الكلمة التي ما زلت مصرا على استخدامها على الرغم من الازدراء الرافض لها من قبل نقاد ما بعد الحداثة المتمرسين في مجالهم.

وعند حديثي عن «الأنسنية»، فإن أول ما أفكر فيه هو تلك الإرادة التي دفعت ويليام بليك إلى تحطيم القيود المفروضة على تفكيرنا بغية توظيفها في نطاق تفكير تاريخي ومنطقي. وتُصان الأنسنية برعايتها عبر الشعور بوجود علاقة تواصل مع باحثين آخرين ومجتمعات آخرى وأزمنة أخرى: فلا وجود لما هو أنسني بعيدا عن العالم، فكل مجال مرتبط بالمجالات الأخرى، ومن غير الممكن أن يحدث أي شيء في العالم بمعزل وبعيداً عن أي تأثير خارجي. وعلينا أن نعالج الظلم والمعاناة، ولكن في سياق متجذر بعمق في التاريخ والثقافة والواقع الاجتماعي-الاقتصادي، فدورنا هو توسيع مجال النقاش.

على مدى السنوات الخمس والثلاثين الماضية، قضيت جزءًا كبيرًا من حياتي في الدفاع عن حق الشعب الفلسطيني في تقرير المصير، لكنني حاولت دائمًا القيام بذلك مع المراعاة الكاملة لمعاناة الشعب اليهودي، من الاضطهاد إلى الإبادة الجماعية. وما يهمني هو أن النضال من أجل المساواة بين إسرائيل وفلسطين ينبغي أن يكون له هدف أنسني فقط، ألا وهو التعايش، وليس السعي إلى الإقصاء والرفض.

وليس من قبيل المصادفة أنني قد بَّينت أن الاستشراق ومعاداة السامية الحديثة لهما جذور مشتركة. بالتالي، وبالنسبة لأي مفكر مستقل، يصبحُ تطوير نماذج بديلة للعقائد الضيقة والمبسطة القائمة على العداء المتبادل التي سادت في الشرق الأوسط وأماكن أخرى لفترة طويلة هي ضرورة ملحة.

كأنسني، يعمل في مجال الأدب، فأنا متقدم في العمر لدرجة أنني تلقيت، منذ أربعين عامًا، تعليمًا في الأدب المقارن، تعود أفكاره التأسيسية إلى ألمانيا في نهاية القرن الثامن عشر ومطلع القرن التاسع عشر. كما ينبغي علينا أن نستحضر المساهمة الأساسية التي قدمها جيامباتيستا فيكو، الفيلسوف وعالم اللغة النابوليني الذي مهدت أفكاره الطريق أمام المفكرين الألمان مثل هيردر وولف – واستعان بها جوته وهومبولدت وديلتاي ونيتشه وجادامير، وأخيراً استفاد منها علماء لغويون كبار في القرن العشرين كإريك أورباخ ، ليو سبيتزر وإرنست روبرت كورتيوس.

بالنسبة للجيل الحالي من الشباب، يعتبر فقه اللغة علمًا قديمًا عفا عليه الزمن، ومع ذلك فهو منهج تفسيري أكثر أساسية بين كل مناهج التفسير وأكثرها إبداعًا. وأفضل مثال يثير الإعجاب في هذا الصدد هو الاهتمام الذي أولاه جوته للإسلام، وبشكل خاص للشاعر «حافظ» - حيث سيقوده هذا الشغف إلى كتابة «الديوان الشرقي للمؤلف الغربي»، فأثر بأفكاره على Weltliteratur (الأدب العالمي)، وعلى دراسة جميع آداب العالم باعتبارها سيمفونية متكاملة يمكن للمرء فهمها نظرياً باعتبار أنها تحافظُ على فردانية كل عمل دون أن تفقد رؤيتها له ضمن المجموع.

ومن المفارقات أن عالمنا في ظل العولمة يتجه نحو هذه المعيارية، وهو التماثل الذي تهدف أفكار جوته إلى الحيلولة دونه. وقد حذر رريك أورباخ، في مقالته عام 1951 « فقه لغة الآداب العالمية» -Phi lologie der Weltliteratur، من هذا الاتجاه في بداية فترة ما بعد الحرب والتي كانت أيضًا بداية الحرب الباردة. وكان كتابه العظيم Mimesis - الذي نُشر في برن عام 1946، ولكنه كتب أثناء الحرب، عندما كان لاجئًا في اسطنبول حيث كان يدرس اللغات ذات الأصل اللاتيني- بمثابة شهادة على التنوع وعلى الواقع وتَمَثُّلاتهما في الأدب الغربي، من هوميروس إلى فرجينيا ولف. ومع ذلك، عند إعادة قراءة مقال عام 1951، يدرك المرء أن كتاب أورباخ العظيم كان احتفاء بعصر تم فيه تحليل النصوص بمصطلحات فيلولوجية/لغوية، وبطريقة متماسكة ومرهفة وبديهية؛ وهو العصر الذي ساهمت فيه المعرفة والإتقان المتمرس لعدة لغات في إنتاج نمط من الفهم كان بطله غوته وفهمه المتميز للأدب الإسلامي.

لقد كانت هذه المعرفة باللغات والتاريخ ضرورية، ولكنها لم تكن كافية أبدا، تمامًا كما، وعلى سبيل المثال، أن مجرد مراكمة الوقائع ليس طريقة ملائمة لفهم ما يمثله مؤلف مثل دانتي. كان المقصد الأساسي للمنهج الفيلولوجي/اللغوي الذي تحدث عنه وحاول تطبيقه أورباخ وأسلافه هو الدخول بشكل ذاتي ومعرفي إلى داخل المادة الحية للنص ومن منظور عصر النص ومؤلفه (Einfühlung).

وبينما يتعارض المنهج الفيلولوجي المطبق على الأدب العالمي (Weltliteratur) مع فكرة الإقصاء والعداء تجاه عصر آخر وثقافة مختلفة، فإنه يشتمل على فكر أنسني حق يتكشف بسخاء وكرم- إذا جاز لي استخدام هذه الكلمة. ويجب على فكر الباحث أن يفسح، بفاعلية، حيزا في ذاته للآخر الأجنبي. وهذا العمل الإبداعي المتمثل في الانفتاح على الآخر، هو البعد الأكثر أهمية في مهمة الباحث، وما عداه إنما يعني أن يظل الآخرغريبا وبعيدًا.

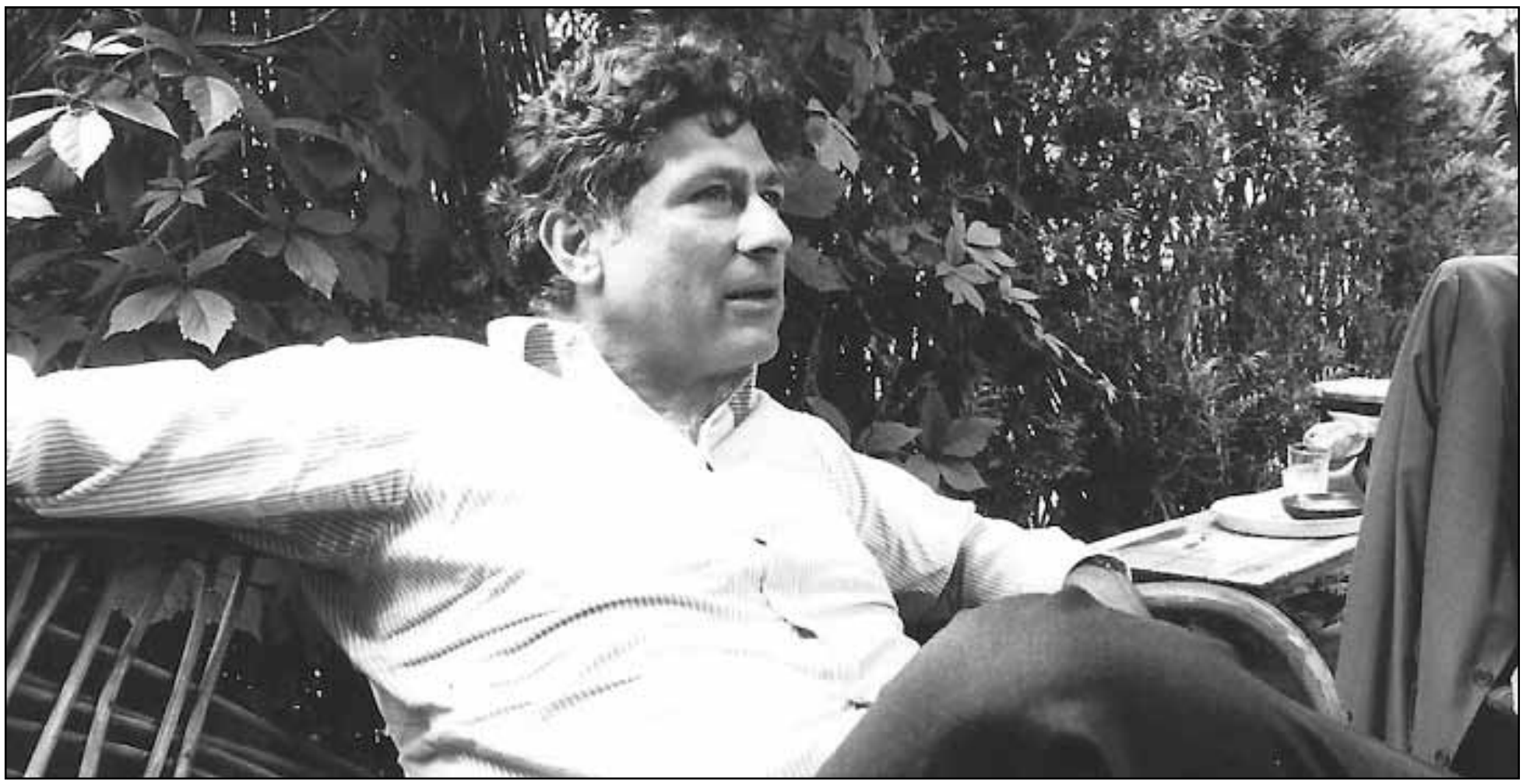

في ألمانيا، سوف يتخلخل هذا كله بالطبع، ومن ثم سيتم تدميره من قبل الاشتراكية القومية. وبعد الحرب، يشير أورباخ بأسى إلى أن معيارية الأفكار وتنامي التخصص المعرفي باضطراد قد ضيّقت بشكل تدريجي إمكانات هذا النوع من العمل الاستقصائي الدؤوب الذي مثله أورباخ نفسه. أما الأمر الأكثر إثارة للإحباط منذ وفاة أورباخ في عامٍ 1957، هو فقدان البحث الإنساني لمركزيته، فكرة وممارسة. فبدلاً من القراءة، بالمعنى الحقيقي للكلمة، يتشتت انتباه طلابنا باستمرار بسبب المعرفة المجتزأة المتوفرة على الإنترنت والمنشورة عبر وسائل الإعلام.

وثمة ما هو أخطر، فالتربية اليوم مهددة من قبل الأصوليات القومية والدينية التي تروج لها وسائل الإعلام، والتي تركز بطريقة لا تاريخية وتشويقية على الحروب الإلكترونية البعيدة، والتي تخلف لدى المشاهدين انطباعًا عن «الدقة الجراحية»، وتتستر بالتالي على ما تسببه الحرب الحديثة من معاناة مرعبة ودمار. وبغية تأجيج غضب الجمهور من خلال شيطنة عدو مجهول وتصنيفه بأنه «إرهابي» ، تركز الصور الإعلامية الانتباه على موضعٍ واحد يمكن توظيفه بسهولة في أوقات الأزمات وانعدام الأمن، كمَا حدث بعد هجمات 11 سبتمبر.

بصفتي أمريكيا وعربيا، ينبغي أن أطلب من القارئ ألا يقلل أبدا من شأن هذه النظرة التبسيطية للعالم التي ابتدعتها حفنة من المدنيين العاملين في البنتاغون للتعريف بالسياسة الأمريكية تجاه العالم العربي والإسلامي. إذ أصبح ممكنا، وبفضل أكبر ميزانية عسكرية في التاريخ، اعتبار الإرهاب والحرب الوقائية وفرض عمليات تغييرٍ النظام، هي الأفكار الوحيدة التي ناقشها الإعلام دون توقف منتجاً ما يسمى بـ «الخبراء» بغية تبرير الخط العام للحكومة. وتم استبدال الانعكاسية، النقاش، الجدال العقلاني، والمبادئ الأخلاقية المتأصلة في الفكرة العلمانية بأن البشر يصنعون تاريخهم الخاص، بأفكار تجريدية تمجد الاستثناء الأمريكي، أو الاستثناء الغربي، وتنكر أهمية السياق وتنظر إلى الثقافات الأخرى بازدراء.

خطاب علماني وعقلاني عالمي

ربما يتهمني القارئ بالقيام بانتقالات مفاجئة للغاية فيما بين التفسيرٍ الأنسني وبين السياسة الخارجية، وذلك من خلال تأكيده تحديداً على فكرة أن المجتمع المتقدم تقنيًا، والذي يمتلك قوةً غير مسبوقة، متمثلة في امتلاكه للانترنت ولمقاتلة F-16، هو مجتمع يجب في المحصلة أن تتم قيادته من قبل خبراء تقنيين وسياسيين كبار مثل السيد دونالد رامسفيلد أو السيد ريتشارد بيرل. لكن ما فاتنا على طول الطريق هو ذلك الإحساس بكثافة الحياة البشرية وترابطها، والتي لا يمكن اختزالها إلى صيغة مبسطة، أو إقصاؤها خارج السياق.

هذا أحد جوانب النقاش العالمي، وليس الوضع في الدول العربية والإسلامية أفضل بكثير، فكما أوضحت ذلك الصحفية رولا خلف في مقال ممتاز، تبنت المنطقة موقفاً معادياً للولايات المتحدة ينم عن قلة فهم للمجتمع الأمريكي بما هو عليه فعلا. ولأنها غير قادرة على التأثير على موقف الولايات المتحدة تجاهها، تكرس الحكومات كل طاقاتها لقمع شعوبها والسيطرة عليها. ومن هنا مصدرُ تنامي مشاعر الاستياء والغضب واللامبالاة التي تتسم بالعجز والتي لا تساعد على انفتاح المجتمعات التي دُمرت فيها الرؤية العلمانية لتاريخ البشرية وتطورها بسبب الإخفاقات والإحباطات المتتالية وبسبب تيار الإسلاموية المستندة على التعليم بواسطة التلقين ومحو كل ما يُنظر إليه على أنه أنماط أخرى من المعرفة الحديثة المتنافسة معها.

لقد كان الاختفاء التدريجي للتقليد الإسلامي المتمثل في الاجتهاد أو التفسير الشخصي أحد أكبر الكوارث الثقافية في عصرنا، ما أدى إلى اختفاء التفكير النقدي وجميع المواجهات الفردية مع الأسئلة التي يطرحها العالم المعاصر.

ولا أدعي أن العالم الثقافي قد تراجع بكل بساطة، سواء من خلال الوقوع في العدوانية الجديدة للاستشراق من ناحية، أو من خلال التعصب المطلق، من ناحية أخرى. ففي نهاية آب / أغسطس 2002، كشفت قمة الأمم المتحدة في جوهانسبرغ، على الرغم من كل محدوديتها، عن بروز حيز واسع من الاهتمام العالمي المشترك، معلنة عن ظهور «دائرة انتخابية كونية» قادرة على منح دفعة جديدة لمفهوم «عالم واحد» والذي تم الإفراط في استخدامه. لكن، ولمرة أخرى، يجب أن نعترف بأنه لا يمكن لأحد أن يدرك الوحدة المعقدة غير العادية لعالمنا في ظل العولمة، حتى لو كان الطابع المتكامل المتزايد لكل جزء من أجزائه يجعل من الصعب الآن عزل بعضه عن بعض.

ولا يمكن لهذه الصراعات الرهيبة التي تثار هنا، والتي تجمع الشعوب تحت رايات موحدة مضللة مثل «أمريكا» أو «الغرب» أو «الإسلام» وتبتكر هويات جماعية لأفراد مختلفين في الواقع، أن تستمر في نهجها التدميري. يجب أن نعمل على مناهضتها ومواجهتها. فمازلنا نمتلك قدراتنا التفسيرية العقلانية، وإرثنا من تعليمنا الإنساني. ولا يتعلق الأمر هنا بالصلاح الوجداني الذي يحثنا على العودة إلى القيم التقليدية والكلاسيكيات، بل هو استئناف لممارسة الخطاب العالمي العلماني والعقلاني.

لا يخضعُ العقل الناقد للإيعاز بالانضمام إلى ركب الصفوف والخوض في حرب ضد عدو رسمي أو ضد آخر. فبعيدًا عن فكرة صدام الحضارات المصطنعة، يجب علينا التركيز على العمل المتأني للثقافات التي تتداخل فيما بينها، وتستعير من بعضها البعض، وتتعايش بطرق أعمق بكثير مما توحي به أنماط الفهم المختزلة والمزيفة. لكن هذا الشكل الأرحب من الفهم يتطلب وقتًا وصبرًا وبحثًا نقديًا دائمًا، يغذيه الإيمان بمجتمع فكري يصعب الحفاظ عليه في عالم يعتمد على سرعة الفعل ورد الفعل.

تتغذى الأنسنية على المبادرة الفردية وعلى الحدس الشخصي، وليس على الأفكار المسبقة واحترام السلطة. ويجب قراءة النصوص على أنها نتاجات تعيش في التاريخ بطريقة محددة.

أخيرًا وليس آخرًا، الأنسنية هي متراسنا الوحيد، بل أود أن أقول متراسنا الأخير في مواجهة السياسات اللاإنسانية والمظالم التي تشوه تاريخ البشرية. لدينا الآن مجال ديمقراطي مشجع للغاية يمثله الفضاء السيبراني، المفتوح أمام الجميع على نطاق لم تكن للأجيال السابقة ولا لأي مستبد أو لأي رأي متشدد تصوره. إذ لم تكن الاحتجاجات العالمية التي سبقت الحرب على العراق لتتحول إلى حقيقة لولا المجتمعات البديلة الموجودة في جميع أنحاء العالم، والتي تسقيها معلومات متنوعة، وعلى إدراك بقضايا البيئة وحقوق الإنسان وكذلك التطلعات التحررية التي تجمعنا جميعًا معًا على هذا الكوكب الصغير.

تقرير

واقع المقاومة في مخيم جنين .. المتغيرات بين عام 2002 واليوم

منحت معركة سيف القدس بين المقاومة الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي في مايو الماضي، المقاومة، شرعية إضافية في كل أماكن تواجد الفلسطيني، وقد انعكس ذلك على دخول الداخل المحتل عام 48 لخط المواجهة بطريقة غير مسبوقة. وإذا كان هناك انتصار حقيقي للمعركة، فهو الذي تشكل في الوعي العام للفلسطينيين، الذين شعروا بقدرة المقاومة على شل الكيان الإسرائيلي بكل مكوناته، وهو ما دفع مجموعات ومقاومين منفردين للتحرك في الضفة الغربية في ذروة الأحداث التي شهدها مايو 2021.

خاص الحدث

مخيم جنين ما بعد سيف القدس

في مخيم جنين، كانت مجموعات مسلحة تابعة للفصائل الفلسطينية قبل مايو أشبه بالخلايا النائمة، وتتسم باللامركزية التنظيمية، حيث لا تتبع لقرار مركزي وليس لديها سلاح تنظيمي أو مصدر تمويل منتظم، لكن إرث المخيم وتاريخه والحالة الوجدانية التي سادت في معركة سيف القدس، حركت هذه المجموعات التي بدأت تبادر بإطلاق نار على أهداف إسرائيلية في محيط جنين وتحديدا حاجز الجلمة، كما أنها بدأت بالاشتباك مع القوات التي تقتحم المخيم، لكن على أسلوب حرب العصابات.

في 10 يونيو قتلت قوة إسرائيلية خاصة جميل العموري، صاحب فكرة نقل الاشتباك من المخيم إلى المحيط. يبلغ العموري من العمر 24 عاما وهو قائد إحدى المجموعات التابعة لسرايا القدس الذراع العسكري لحركة الجهاد الإسلامي. في بيان تلاه قبل استشهاده قال إن المقاومة في الضفة الغربية لا يمكن أن تترك غزة تواجه وحدها، وأنه ورفاقه اتخذوا قرارا بتحويل جنين إلى جبهة أخرى تؤرق الاحتلال الإسرائيلي. كان هذا البيان بمثابة توقيع على قرار اغتياله، فقد نظرت المؤسسة الأمنية الإسرائيلية للأمر بخطورة بالغة انعكست على تقارير المراسلين العسكريين الإسرائيليين.

لكن المؤسسة الأمنية الإسرائيلية حصدت باغتيال العموري مزيدا من المقاومة في المخيم، تشكلت مجموعات باسمه، وأقامت الفصائل الفلسطينية، الجهاد وحماس وفتح، عروضا عسكرية، تأكيدا على حيوية المقاومة في جنين، وبذلك ألزمت نفسها بمواجهة مؤكدة مع كل دخول للاحتلال للمخيم. وهو ما وجه الانتباه الإسرائيلي والفلسطيني إلى تلك البقعة من الضفة الغربية، التي علقت في أذهان الطرفين كبؤرة للمقاومة وكأرض معركة خالدة كرمز للانتفاضة الثانية. إلا أن ما جرى بعد ذلك، من استهداف للمقاومين بشكل مركز ومكثف أثار تساؤلات نقدية عن الحالة ككل.

خصوصية المخيم.. نقد التجربة

في الانتفاضة الثانية تحصن مئات المقاتلين في مخيم جنين، وأعلنوا استعدادهم لصد الاجتياح الذي كان يشرف عليه قادة جيش الاحتلال والمستوى السياسي الإسرائيلي. في حينها اقترح بعض قادة الفصائل السياسيين وحتى العسكريين أن يتوزع المقاتلون على قرى المدينة ضمن مجموعات صغيرة تبادر في تنفيذ عمليات استشهادية وإطلاق نار. كانت الفكرة لدى هؤلاء أن المعركة مع المنظومة الاستعمارية القائمة لا يمكن أن تنتهي بضربة قاضية ولا تحسم في جولة واحدة، وتركز المقاومين في المخيم يعني في النهاية القضاء عليهم. بالنسبة للمقاتلين، كانت المسألة مسألة تحد، وقد أثر احتلال المدن الفلسطينية في الضفة مرة أخرى في تلك الفترة في اعتقاداتهم، إذ بدأوا يرون بأن معركة المخيم قد ترد للشعب الفلسطيني بشيء من النصر.

اليوم يحدث الأمر ذاته تقريبا، المئات من المسلحين في مخيم جنين عدد منهم أصبحوا مطاردين يتحصنون في بقعة جغرافية لا تزيد عن كيلو متر مربع، يتوعدون بعدم تمكين جيش الاحتلال من احتلال المخيم، وهو تهديد رفع سقف التحدي بالنسبة للشعب الفلسطيني فيما يخص معادلة مخيم جنين. من ناحية عملية يختلف الواقع الآن عن الانتفاضة الثانية، حينها كان الاحتلال مضطرا لاحتلال كل المدن والبلدات، بالإضافة إلى أن جبهته الداخلية كانت تتعرض لضربات قاسية بفعل العمليات الاستشهادية، أما حالة المخيم اليوم فهي خاصة بالمخيم ولا يوجد لها شريك في الضفة الغربية.

المتغير الآخر بين الحالتين هو أن الأجهزة الأمنية الفلسطينية قد شاركت فعليا في صد اجتياح المخيم عام 2002، وكان أبو جندل أحد ضباط جهاز الأمن الوطني من قادة المعركة، وقد استخدم مقاتلو الأجهزة بعضا من خبراتهم التي اكتسبوها في التدريبات العسكرية والقتال على جبهات أخرى كلبنان في المواجهة، بالإضافة لوجود عدد كبير من مقاتلي حركة الجهاد الإسلامي، الذين تجمعوا في المخيم كآخر ساحة مواجهة لم يحسم أمرها. أمر آخر مختلف عن الواقع اليوم، وهو أن القيادة السياسية

الفلسطينية كانت قريبة من خط المواجهة بل وتغذيه، ووجهت العناصر الأمنية للدفاع عن هيبة المخيم، بعد سقوط هيبة رام الله في الاجتياح الذي نفذه جيش الاحتلال الإسرائيلي، فكان لا بد من نموذج آخر - بالنسبة لقيادة السلطة وتحديدا الشهيد ياسر عرفات - يستطيع المحافظة على ماء وجه القوات العسكرية الفلسطينية وأيضا الخيار الذي اتخذه بمواجهة إسرائيل رغم احتجاج عدد كبير من المحيطين به، والذين يمثلون اليوم القيادة السياسية.

تكتيك إسرائيلي للتعامل مع المخيم

لكن إسرائيل التي هزمت في أكثر من جبهة في السنوات الأخيرة، تحاول اليوم أن تصنع مخيلة لعدو كبير في الضفة الغربية، بهدف اقتناص انتصارات بين الفينة والأخرى، لصالح المستوى السياسي الذي يتعرض لانتقادات بسبب الردع الذي تحقق على جبهتي لبنان وغزة. لهذا الغرض، بدأوا بالحديث عن مخيم جنين وكأنه قطاع غزة، والحديث عن إمكانية البدء بمعركة واسعة ضده، هو جزء من هذه البروباغاندا التي تحاول إسرائيل تسويقها من أجل خلق العدو وخلق الانتصار، لكن الحقيقة أن واقع المخيم مختلف عن ما يجري الترويج له، فكل ما في الأمر أن هناك مقاتلين من مختلف الفصائل يحاولون تثبيت قاعدة أن لا دخول للمخيم بدون اشتباك.

إلا أن القيام بعملية عسكرية واسعة ضد المخيم، تصطدم بمتغير جديد مختلف، هو معركة سيف القدس التي حاولت تكريس ربط بين مختلف الجبهات، سواء في الضفة أو القدس أو لبنان، وقد نجحت نسبيا في ذلك. ولعل تهديد قادة المقاومة في قطاع غزة من أن مخيم جنين لن يترك لوحده هو السبب الذي يمنع الإسرائيليين من تنفيذ عملية عسكرية واسعة، خاصة وأن الإدارة الأمريكية الجديدة موقفها واضح من تجفيف مصادر التوتر والصراع في الشرق الأوسط، وفي تل أبيب حكومة ضعيفة مضطرة للاستجابة لطلبات الإدارة الأمريكية.

في ضوء هذه القراءة، يبدو أن إسرائيل غيرت من تكتيك تعاملها مع الحالة في مخيم جنين ضمن المحددات التالية: عدم تنفيذ عملية واسعة في مخيم جنين، مع التركيز على فكرة حصار المقاومين بالمخيم، وذلك من خلال عمليات مركزة تنفذها القوات الخاصة ضد المقاومين الذين يخرجون من المخيم، وهذا ما حصل مع المطارد محمد السعدي من كتائب القسام، والذي اعتقل قبل أيام داخل إحدى محطات الوقود بعد دقائق من خروجه من المخيم. لقد شكل اعتقاله، واعتقال الأسيرين المحررين أيهم كممجي ومناضل نفيعات من قبله بعد خروجهم من المخيم، تكريسا لقاعدة أن الخروج من المخيم غير آمن، وبالتالي سيلجأ المقاتلون للتحصن طوال الوقت داخله.

تراهن إسرائيل على استنزاف هذه الحالة من خلال عمليات استدراج للمقاتلين خارج المخيم، وفي كل مرة تنفذ فيها عملية اعتقال أو اغتيال ستسوق لانتصار وحدات النخبة لديها ولمؤسستها الأمنية، وبالتالي اقتنع قادة الاحتلال أن المطلوب هو سلسلة من الانتصارات الصغيرة لمعالجة الخوف الذي تعاني منه الذهنية الإسرائيلية في مرحلة ما بعد سيف القدس. بالإضافة لذلك، فإن هذه الحالة تمنع من امتداد المجموعات المسلحة لخارج المخيم وتعزلها في داخله، وبالتالي فإن تأثيرها يصبح قليلا ونادرا.

وأمام هذا التكتيك الإسرائيلي، لا بد للمقاومة من المواجهة بتكتيك مختلف، يتمثل في عدم زج عدد أكبر من الشباب في الحالة المقاومة في المخيم من أجل عدم "حرقهم" أمنيا، والاستثمار بهم لبناء شبكة مجموعات في محافظة جنين وخارجها، والتركيز على بناء مجموعات صغيرة منفصلة لا تخوض حرب عصابات مع جيش الاحتلال، بل تركز على المبادرة في الاستهداف، ولعل هذا ما سعت إليه حركة حماس، التي كشف جيش الاحتلال الإسرائيلي أنها بدأت ببناء شبكة من المجموعات المسلحة في قرى جنين، وقد داهم بالفعل برقين وقباطية وكفر دان وعدة مناطق لتفكيك هذه المجموعات.

قد يكون التخوف الذي أبداه الإسرائيليون بعد كشف مجموعات حماس نابعا من الخشية من أن تعمم هذه الظاهرة لدى الفصائل الأخرى، والتي بالفعل ستكون استراتيجية خطيرة بالنسبة للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية، ولذلك نفذت قوات الاحتلال عمليات اغتيال واعتقال بشكل مكثف ومركز ومتزامن، معتمدة على أسلوب الصدمة في مواجهة هذه المجموعات. ومن المهم الإشارة إلى أن هذه ليست التجربة الأولى لحماس مع هذا التكتيك، قد استخدمته في الانتفاضة الثانية ونجح نسبيا، حيث أنها قبل اقتحام المخيم، قامت بتوزيع مجموعاتها على القرى والبلدات وقد استطاعت تنفيذ عمليات كبيرة بفعل هذا التكتيك.

تقرير

قصة 12 تصريحا لرئيس سلطة الطاقة ظافر ملحم.. والنتيجة صفر

شكلت الطاقة البديلة واحدة من الثغرات التي اعترت خطاب الحكومة الفلسطينية وسلطة الطاقة، ففي مقابل التصريحات والوعودات التي تطلقها الأطراف المذكورة في كل مناسبة ولقاء، هناك واقع من عدم الاكتراث أو الاهتمام أو الشعور بأهمية الطاقة البديلة في إطار تنوع مصادر الطاقة، حيث إن السلطة الفلسطينية تعتمد بشكل أساسي على الطاقة التي يوردها الاحتلال، وهو ما كانت له تبعات اقتصادية وخدماتية.

خاص الحدث

يتتبع التقرير التالي تصريحات رئيس الطاقة ظافر ملحم، منذ عام 2015، وهو العام الذي أقر فيه القانون الخاص بالطاقة البديلة، إلى يومنا هذا. ويحاول التقرير أن يجمل كذلك تصريحات وتعليقات من مستثمرين وخبراء في مجال الطاقة البديلة خلال الفترة الزمنية المذكورة، وتقييمهم لأداء سلطة الطاقة والحكومة في هذا السياق. هذه محاولة لخلق مقارنات تزيل الوهم عن التصريحات وتكشفها أمام الواقع، من أجل استخلاص العبر والدروس.

سبتمبر 2015: صرحت سلطة الطاقة أنها «أعدّت خطة لتشجيع الاستثمار في الطاقة البديلة من خلال إقامة المزيد من محطات الطاقة الشمسية، لإنتاج الطاقة الكهربائية»، بعد أن صادق الرئيس محمود عباس على قانون الطاقة المتجددة.

آنذاك كان ظافر ملحم نائب رئيس سلطة الطاقة، وقال حينها إن القانون يوفر بيئة تشريعية تنظم الاستثمار في هذا الحقل، ويساهم في تطوير مزيد من المشاريع، وفق نائب رئيس سلطة الطاقة، ظافر ملحم، ويشجع استغلال وتطوير مصادر الطاقة المتجددة والاستفادة من تطبيقاتها لزيادة نسبة مساهمتها في مجموع الطاقة الكلي في ميزان الطاقة وتحقيق التزويد الآمن منها، انسجاماً مع استراتيجية الطاقة المتجددة.

نوفمبر 2017: صرح ملحم حينها حيث كان يشغل منصب القائم بأعمال رئيس سلطة الطاقة أن حالة الضفة الغربية في موضوع الكهرباء هو أفضل من قطاع غزة ، ولكن في حال استمرت الزيادة على الطلب للكهرباء دون وجود الخطط والحلول سنكون على غرار قطاع غزة، وسينقطع التيار الكهربائي عن مدن بالضفة في السنوات المقبلة. وشدد وقتها على ضرورة اتخاذ مجموعة من الخطوات لحل مشكلة الطاقة من بينها المشاريع المتعلقة بتوليد الكهرباء من الطاقة الشمسية. وعد ملحم في ذلك الوقت بانتهاء مشكلة الكهرباء خلال الشتاء الجاري (شتاء 2017).

نوفمبر 2017: أكد ملحم الذي كان يشغل منصب القائم بأعمال رئيس سلطة الطاقة على وجود جهود تبذلها سلطة الطاقة والحكومة الفلسطينية لتجاوز كل المعيقات القانونية والفنية لضمان استمرار وتطوير واقع الكهرباء في فلسطين، وأهمها استراتيجية الطاقة للأعوام 2017-2022 التي أخذت بعين الاعتبار أهمية سد العجز في الكهرباء وضمان وصولها إلى كافة المحافظات، مشيرا إلى أن الجهود المذكورة أسفرت أيضا عن إقرار عدد من التشريعات والقوانين التي من شأنها تطوير وتعزيز استخدام الطاقة المتجددة، فضلا عن العمل على تحويل قطاع الطاقة إلى قطاع منتج يدر دخلا للخزينة من خلال تعزيز الاستثمار فيه بعد نقل صلاحيات ملكية وإدارة خطوط التزود بموجب اتفاقية الشراء المبرمة مع الجانب الإسرائيلي، إضافة إلى تنمية مصادر الطاقة وتوفير شبكات نقل تمكن من الربط والشراء من أي مصدر كان وفي أي وقت بهدف تقليل الاعتماد على الشركة القطرية الإسرائيلية.

ديسمبر 2017: قال ظافر ملحم بعد أن أصبح رئيسا لسلطة الطاقة، إن لدى «سلطة الطاقة سياسة واضحة بمنح تراخيص العمل لجميع مشاريع إنتاج الطاقة التي تزيد على 1 ميغاوات، وقد أصدرت تعليمات مشجعة على الاستثمار في مجال الطاقة المتجددة، وتعزيز استخدامها في جميع القطاعات لتحقيق التنمية المستدامة وحماية البيئة وتقليل الاعتماد على الطاقة المستوردة». وأشار إلى أن الاستراتيجية الوطنية للطاقة المتجددة بشأن تنظيم استغلال الطاقة المتجددة في فلسطين، كانت تهدف إلى استغلال تلك المصادر في فلسطين لإنتاج 130 ميغاوات من الكهرباء حتى العام 2020. وتشير مصادر مطلعة لصحيفة الحدث، إلى أن الكمية التي تم إنتاجها حتى عام 2020 وصلت إلى 90 ميغا واط، أي أن هناك عجزا بمقدار 40 ميغا واط عن الخطة المعلن عنها.

وشرح ملحم في ذلك الوقت كيف يمثل وقوع فلسطين على بعد 30 درجة شمال خط الاستواء أهمية في منحها فرصة لتوليد الكهرباء باستخدام الطاقة الشمسية، حيث يسقط على كل متر مربع فيها ما يقدر بثلاثة آلاف كيلوواط/ساعة، وتتمتع بما يزيد عن 300 يوم مشمس في السنة.

سبتمبر 2019: خلال زيارة له لمدينة طولكرم بعد تفاقم أزمة الكهرباء فيها، قال ملحم «نسعى لزيادة مشاريع الطاقة الشمسية، حيث تم الاتفاق مع المحافظ على تحديد مواقع لبناء محطات طاقة شمسية مستقبلية، التي من شأنها المساهمة في معالجة العجز الكهربائي على مستوى المحافظة». بالمناسبة، أزمة كهرباء طولكرم مستمرة حتى كتابة هذا التقرير، وبعض مشاريع الطاقة الشمسية متعطلة فيها منذ سنوات.

ديسمبر 2019: أكد ملحم أن سلطة الطاقة حققت تقدما ملموسا في تنويع مصادر الطاقة الكهربائية ضمن خطط «الانفكاك» التدريجي عن الاقتصاد الإسرائيلي. وقال « لدينا هدف استراتيجي وضعته الحكومة الفلسطينية من أجل تنويع مصادر الطاقة الكهربائية وعدم الاعتماد على مصدر واحد وهو المصدر الإسرائيلي». وأضاف أن ذلك يتم من خلال عدة خطط، أبرزها تخفيض كميات الكهرباء الواردة من إسرائيل عبر مشاريع الربط الإقليمي مع دول مجاورة، وبناء محطات توليد كهرباء فلسطينية ضمن مشروع قائم حاليا تحت التنفيذ ومشاريع الطاقة المتجددة.

وحول إنتاج الطاقة الشمسية، قال ملحم حينها «نحن ننتج حاليا 40 ميغاواط من الطاقة البديلة، ونسعى لتعزيز الإنتاج الفلسطيني للطاقة البديلة.

ديسمبر 2019: بعد تهديد شركة الكهرباء الإسرائيلية بقطع التيار الكهربائي بسبب الديون، أكد ملحم على ضرورة وجود خيارات أخرى لمصادر تزويد الطاقة، وهذا ما يجري العمل عليه الآن، ستكون هناك خطط بديلة لتزويد المواطنين بالطاقة الكهربائية في سياق الانفكاك التدريجي عن الاحتلال. ولفت ملحم، إلى جهود تبذل لبناء العديد من محطات تزويد الطاقة البديلة منها الطاقة الشمسية.

سبتمبر 2020: أوضح ملحم أن مشاريع الطاقة الشمسية المساندة تساهم بـ 4% من حاجة فلسطين للكهرباء، مؤكداً أن هناك مشاريع استراتيجية كبيرة للطاقة الشمسية في عدة محافظات في الوطن، وأنه سيتم إنشاء محطة طاقة شمسية بقدرات كبيرة في طولكرم. وهذا لم يحدث حتى الآن.

أكتوبر 2020: أكد ملحم في مقابلة مع «صحيفة الحدث» على أن الاستراتيجية الفلسطينية في مجال الطاقة تتلخص في الوصول إلى الأمن الطاقي، والذي يعني أن تتوفر الطاقة الكهربائية للمواطنين والمصانع والمنشآت التجارية بشكل مستمر ودون انقطاع أو تذبذب على مدار العام، وهذا يتطلب مصدرا موثوقا للتيار الكهربائي. وأضاف أن «الخطة الاستراتيجية في قطاع الطاقة تبنت سياسة تنوع مصادر الطاقة، وتخفيف الاعتماد على مصدر واحد، وهذا من شأنه أن يؤدي إلى تقليل الاعتماد على المصدر الإسرائيلي، ومن أجل تحقيق هذا الهدف، كانت الرؤية بأن الطاقة في فلسطين يجب أن يتم تأمينها من أكثر من مصدر، بالإضافة للمصدر الإسرائيلي الذي لا يمكن الاستغناء عنه في الوقت الحالي».

وتابع ملحم: «في السابق كنا نعتمد على إسرائيل بنسبة 100% في مجال الطاقة، وهذا انخفض في السنوات الأخيرة إلى 87%، وخلال العامين الماضيين زادت مساهمة الطاقة

SBITANY
بنك فلسطين
BANK OF PALESTINE

بمناسبة العام الـ60

مع سبيتاني وبنك فلسطين

قسطوا مشترياتكم

حتى

60

شهر بدون فوائد أو عمولات

شروط وميزات الحملة

- يستفيد من الحملة جميع حاملي بطاقة التقسيط ايزي لايف الخاصة ببنك فلسطين الحاليين والجدد.
- يمكن التقسيط من خلال شبكة فروع سبيتاني حتى 60 شهراً عند الشراء بمبلغ 6000 شيكل أو أكثر.
- تستخدم البطاقة في التقسيط المحلي.
- تسري الحملة لمدة 60 يوماً من تاريخ 2021/9/9 حتى 2021/11/8.
- يتم التقسيط مباشرة بدون فوائد وعمولات.
- يمكن التقسيط أيضاً على 36,24,12 أو 48 شهراً للمبلغ الذي يقل عن 6000 شيكل.

خدمة الزبائن
1-700-550-110
www.sbitany.com
SBITANY
1700 150 150
www.bankofpalestine.com

الشمسية بالكهرباء من 5 ميجاوات إلى 90 ميجاوات، وهذا أمر غاية في الأهمية، والآن تشكل الطاقة الشمسية حوالي 3% من احتياجات فلسطين للطاقة، والهدف الاستراتيجي هو الوصول إلى الاعتماد على الطاقة الشمسية بنسبة 20% حتى عام 2025». وبيّن أن الانفكاك التدريجي عن الإسرائيليين في مجال الطاقة يتطلب بناء محطات طاقة شمسية لتوليد الطاقة الكهربائية، وأيضا محطات تعمل بالغاز الطبيعي أو الوقود الصناعي.

ديسمبر 2020: قال ملحم «خلال العامين الماضيين، زادت مساهمة الطاقة الشمسية بالكهرباء من 5 إلى 90 ميغاواط، إذ كنا نعتمد على إسرائيل في مجال الطاقة بنسبة 100 في المئة، وانخفضت في السنوات الأخيرة إلى 87 في المئة، حيث تشكل الطاقة الشمسية اليوم نحو 3 في المئة من احتياجات فلسطين للطاقة، ونسعى بحلول عام 2025 الوصول إلى الاعتماد على الطاقة الشمسية بنسبة 20 في المئة، إضافة لذلك وقعنا اتفاقية جديدة هذا العام، من أجلِ تنفيذ برنامج تطوير وتعزيز الطاقة في فلسطين لـ 8 سنوات، هي الأولى من نوعها، التي تضمن تحسين الطاقة والبنية التحتية الخاصة بها، وتعزيزِ الطاقة المتجددة، وتوفير ضمانات للقروض من أجل الاستِثمار في الطاقة الشمسية».

يناير 2021: أكد ملحم على أن «الاحتلال الإسرائيلي هو المعيق الأساسي لتطور قطاع الطاقة في فلسطين، إلا أننا ورغم ذلك نسعى بكل تصميم لتطوير قطاعنا الطاقي من خلال الاعتماد على مصادر الطاقة البديلة في فلسطين». وأضاف أن الطاقة البديلة قطاع واعد في فلسطين، وبيّن أن المستقبل في قطاع الطاقة في فلسطين هو للطاقة المتجددة والتي تشمل الطاقة الشمسية وطاقة الرياح. وأشار إلى أن استراتيجية فلسطين في العام 2030 تهدف للوصول إلى 300 ميغاواط من الطاقة المولدة من المصادر البديلة الصديقة للبيئة، خصوصا أنه يوجد حاليا تكنولوجيا تعتمد على تقنية الملح المذاب وليس فقط على الطاقة الشمسية.

- يونيو 2021: قال ملحم إن سلطة الطاقة تسعى في إطار استراتيجيتها للأعوام (2030-2021)، إلى توفير نحو 500 ميغا واط من الطاقة الكهربائية، بالاعتماد على الموارد الطبيعية لا سيما أشعة الشمس.

يشكل السرد والاستعراض السابق لتصريحات ملحم جزءا مما أدلى به في هذا السياق، لكن ولإدراك الفرق بين الواقع وما يقال في الندوات وأمام وسائل الإعلام، يمكن استعراض تصريحات بعض المطلعين على هذا القطاع، وأيضا ذكر بعض الإحصائيات:

- أزمة الكهرباء في طولكرم استمرت لأكثر من 12 سنة ولا تزال قائمة لأن الحلول التي تطرحها سلطة الطاقة تكتيكية وغير استراتيجية، بينما مشاريع الطاقة الشمسية والتي من بينها مشروع لإنتاج 20 ميغاواط وتتم عرقلته بطريقة غير مفهومة.
- البيانات التي أدلى بها ملحم في التصريحات الواردة في التقرير حول نسبة إنتاج الطاقة الشمسية غير دقيقة، إذ بحسب تقرير «مؤشرات الأداء السنوي 2020» الصادر عن مجلس تنظيم قطاع الكهرباء الفلسطيني يتبين أن نسبة الاعتماد على الاحتلال في الطاقة زادت إلى 94%، أي أن الاعتماد على الاحتلال شهد زيادة وليس نقصانا، بينما نسبة إنتاج الطاقة الشمسية 1.5% فقط!!. هذه النسب تعيدنا لتصريحين سابقين وردا بالتقرير، الأول في سبتمبر 2019 قال فيه إن نسبة إنتاج الطاقة الشمسية 4% والثاني في أكتوبر 2020 أكد فيه انخفاض الاعتماد على الاحتلال في مجال الطاقة وأن النسبة وصلت 87%. من يفسر هذا الاختلاف في النسب بين الواقع وبين ما صرح به مسؤول ملف الطاقة -عمليا- في فلسطين!.
- رئيس مجلس إدارة شركة قدرة لحلول الطاقة المتجددة عنان عنبتاوي يلخص العراقيل التي تواجه إنتاج الطاقة المتجددة في فلسطين، بالتالي "المعيقات الأساسية متعلقة بالبيئة المحيطة لإدارة الحكومة لملف الكهرباء وقطاع الطاقة بشكل عام، وتحديدا بما يتعلق بالطاقة الشمسية، واستمرار قيام هذه المعيقات حتى الآن، يعطي انطباعا خاطئا بأن الجهات الحكومية لا تعطي جدية عملية للاستثمار في قطاع الطاقة المتجددة، على عكس التصريحات والأهداف المتداولة بهذا الخصوص. بل وعلى ما يبدو، لا ترى الحكومة في الطاقة المتجددة حلاً لأزمة الكهرباء في فلسطين".
- أما رئيس اتحاد صناعات الطاقة المتجددة، حسن أبو لبدة، فيرى أن المعطيات على أرض الواقع تثبت أن السلطة الفلسطينية لم تتمكن حتى الآن من خلق بيئة ممكّنة للمستثمر، عازيا ضعف البيئة الاستثمارية في مجال الطاقة الشمسية، إلى عدم وجود رقابة حقيقية وإنفاذ للقوانين والتشريعات التي صدرت عن السلطة الفلسطينية، وهذا يتحقق من خلال محاسبة المخالفين والمعرقلين لتنفيذ هذه القوانين، ومشيرا إلى أن القوانين الموجودة تميل لصالح مزودي الكهرباء والشركات، ومع ذلك غير مطبقة، وهو ما يضع علامات استفهام حول الجهة التي تعرقل تطبيقها وما هي مصلحتها.

بالتساؤل الأخير في تصريح أبو لبدة يمكن إجمال القصة، لمصلحة من يقدم ملحم نسبا وأرقاما غير حقيقية؟ ويقول على الإعلام ما لا يفعله على الواقع!.

تقرير

أزمة تعصف بقطاع المقاولات في فلسطين

مئات ملايين الشواقل مستحقات على الحكومة الفلسطينية لصالح شركات المقاولات

اتحاد شركات المقاولات لـ"الحدث": قطاع المقاولات على حافة الانهيار وجزء كبير من الشركات على وشك الإفلاس

بدأت أزمة قطاع المقاولات في فلسطين تطفو للسطح، بعد عدم التزام الحكومة الفلسطينية بدفع المستحقات التي تلتزم بها بموجب العقود لصالح شركات المقاولات، والتي تقدر بمئات الملايين من الشواقل.

الحدث - سجود عاصي

وقال نقيب المقاولين الفلسطينيين المحامي أحمد القاضي في لقاء خاص مع صحيفة الحدث، إن قطاع المقاولات يمر بأزمة عميقة وهو على حافة الانهيار نتيجة تعسف الحكومة في دفع مستحقات المقاولين في التواريخ المحددة للعقود، وعدم إيفاء الجهات المتعاقدة بالتزاماتها التعاقدية، وهو ما أدى إلى وصول هذا القطاع إلى حافة الانهيار.

وأضاف القاضي، أن "لدينا جزءا كبيرا من الشركات العاملة في قطاع المقاولات على وشك الإفلاس، وهناك عدد من الشركات لديها ملاحقات قانونية وأخرى تقع عليها حجوزات قضائية، وجزء من المقاولين يلاحقون من قبل الدائنين لعدم التزامهم في دفع مستحقاتهم المالية لهؤلاء الدائنين.

وبحسب نقيب المقاولين القاضي، فإن "دفع الحكومة لمستحقاتها يساهم في تحريك الاقتصاد الوطني، ومساعدة الشركات العاملة في قطاع المقاولات في إنقاذ هذا القطاع من الانهيار". مضيفا، أن حجم مديونية الحكومة وصل إلى 146 مليون شيقل مرصودة على النظام كمستحقات عن أعمال منجزة، تم إنجازها منذ أكثر من سنة ونصف، وهناك استرجاعات ضريبية موجودة على النظام بأكثر من 150 مليون شيقل، وفواتير قيد التدقيق بأكثر من مئة مليون شيقل، والمجمل نحو 450 مليون شيقل مستحقات لشركات المقاولات على وزارة المالية والحكومة والقطاع العام.

وأوضح، أن "إجمالي قيمة المستحقات لشركات المقاولات عالية بسبب العقود المستمرة، وقطاع المقاولات تقريبا يشكل 6.7 % من مجمل الناتج القومي الفلسطيني، وهو مشغل رئيسي للأيدي العاملة وله نحو 100 قطاع شريك ومساند له، وهو قطاع ضخم جدا ويمثل جزءا من الاقتصاد الفلسطيني".

وحول وجود أفق لحل هذه الأزمة، أشار القاضي، إلى أن هناك مراسلات واتصالات دورية ومستمرة ما بين الاتحاد والشركات ووزارة المالية والوزراء أصحاب العلاقة لغاية كتابة هذا التقرير، قائلا: التقينا بأكثر من وزير من أصحاب العلاقة، وكانوا متفهمين لطلباتنا، وطبيعة مستحقاتنا والظروف التي نمر بها، ونأمل أن يقوم رئيس الوزراء الفلسطيني محمد اشتية بالإيعاز لمن يلزم بصرف مستحقاتنا. ولكن بحسب القاضي "المشكلة الأساسية تكمن لدى وزارة المالية التي تتذرع بوجود مشاكل مالية في ما يخص المقاصة ووجود اقتطاعات من قيمتها من قبل الاحتلال الإسرائيلي بالإضافة إلى عدم إيفاء الدول المانحة بالتزاماتها، ونحن نطالب بالتوزيع العادل لدخل الحكومة، التي قالت قبل نحو 9 أشهر إنها ستصرف نحو 10.5% من المستحقات، دون صرف أي دفعة حتى الآن، وهذا الحديث بالنسبة لنا مرفوض، وهو جزء يسير لا يوفي بالغرض، وأي دفعة أقل من 50% ستذهب للبنوك بسبب التزامات الشركات البنكية، والمطلوب من الحكومة دفع 50% بالحد الأدنى من هذه المستحقات، وعمل جدولة وآلية واضحة لدفع هذه المستحقات.

وأكد المحامي القاضي، أن لقاء سيجمع اتحاد المقاولين بوزارة المالية خلال الأسبوع الحالي، مع المحاسب العام في الوزارة، ونأمل أن يخرج هذا الاجتماع بنتائج جيدة وإيجابية بالنسبة لنا.

جائحة كورونا وتعميق أزمة قطاع المقاولات

وحول طبيعة أزمة قطاع المقاولات قال: قطاع المقاولات يعاني من أزمة قديمة حديثة موجودة منذ قدوم السلطة الفلسطينية، عمقتها جائحة فيروس كورونا نتيجة الإغلاقات والتراجع في قطاع المقاولات خلال هذه الفترة، بحيث تراجع هذا القطاع بأكثر من 23 %، وأصبح هناك اختلال في العرض والطلب بحيث أصبح حجم شركات المقاولات أكبر بكثير من حجم المشاريع التي تعرض في السوق مما أدى إلى خلق تنافسية عالية وهو ما أثر على الأسعار وأدى إلى المضاربة غير المشروعة، بالإضافة إلى ارتفاع مدخلات المواد الإنشائية وهو ما أدى إلى تعثر بعض شركات المقاولات التي كانت قد وقعت العقود سابقا قبل الارتفاع، ما أثر عليها سلبا وأوقعها في خسارة فادحة.

وطالب القاضي، حكومة محمد اشتية، بشكل مباشر، بأخذ دورها بالخصوص، وتعويض ارتفاع هذه الأسعار على الأقل وتعديل العقود والعمل على عدم تغريم المقاولين بسبب التأخر في التسليم الذي ينتج بالأساس عن ظروف خارجة عن إرادة شركات المقاولات.

وشدد، على أن أزمة فيروس كورونا "جاءت لتعمق خسائر قطاع شركات المقاولات الموجودة أصلا قبل الجائحة، إلى جانب المستحقات والديون الحكومية لصالحها، وهو ما أدى لتعثر شركات المقاولات وتعثر المقاولين في دفع مستحقات الموردين بسبب الديون المتراكمة على الحكومة والظروف القائمة.

وأردف نقيب المقاولين المحامي أحمد القاضي، أن "عدم الدفع للموردين في التواريخ المحددة بحسب العقود، أدى إلى قيام الموردين برفع دعاوى قضائية وشكاوى جزائية للنيابة العامة، ضد المقاولين، وبعض الموظفين نتيجة عدم إيفاء شركات المقاولات بالتزاماتها أدى إلى رفعهم دعاوى على الشركات، وفي المحصلة، هناك جزء من المقاولين تتم ملاحقتهم قضائيا ومن قبل الشرطة، بسبب عدم دفع مستحقات هذه الشركات في التواريخ المحددة، نتيجة لعدم إيفاء الحكومة بالتزاماتها.

"وإذا لم تكن هناك خطوات عملية وملموسة وجادة من قبل الحكومة سنقع في معضلة، يمكن أن تنعكس بشكل كامل على الاقتصاد الفلسطيني، لأن حجم الأيدي العاملة في قطاع الإنشاءات والمقاولات كبير جدا، وهذا سيؤدي إلى ارتفاع نسب وأعداد البطالة والعاطلين عن العمل، وهجرة الأيدي العاملة الماهرة إلى الداخل الفلسطيني المحتل عام 1948، نتيجة عدم قدرة شركات المقاولات على الإيفاء بالتزاماتها"، أضاف القاضي.

وقال: دائما نحن نفترض الإيجابية في لقاءاتنا مع الحكومة والجهات الرسمية الفلسطينية، وهذا نابع من حرصنا على الاقتصاد الوطني، ونتمنى أن لا نصل إلى طريق مسدود في هذا الشأن قد يؤدي بنا إلى اتخاذ إجراءات نقابية لاحقة وفق ما شرع القانون، ونأمل أن لا نصل لهذا الأمر.

خطوات احتجاجية قد تصل للمقاطعة الشاملة

وحول تفاصيل الخطوات التي قد تلجأ لها شركات المقاولات أوضح نقيب المقاولين: الخطوات في حال وصلنا إلى طريق مسدود ستكون بدءا من رفع دعاوى قضائية ومطالبات مالية على كافة الجهات المشترية، وتوجيه إخطارات عدلية، وتنظيم وقفات احتجاجية. مضيفا: نحن اليوم في مرحلة التفاوض ونتمنى أن لا نصل إلى مقاطعة شاملة لكافة العطاءات الحكومية وغير الحكومية والتي ستؤدي لاحقا إلى وقف عجلة الاقتصاد الوطني، ونحن سنعمل بدورنا جاهدين للوصول لتفاهمات مع الحكومة على الرغم من أن هذه التفاهمات لن تكون منصفة لنا ولكن سنعمل جاهدين من أجل أن تكون منصفة.

يذكر، أن عدد شركات المقاولات العاملة في الضفة الغربية المسجلة والمصنفة، يبلغ 450 شركة، يشكل العاملون فيها نحو 21% من حجم العمالة في السوق الفلسطيني من عمال مهرة ومهندسين وعمال وموظفي شركات إداريين وآخرين، كما أن هناك 250 شركة مقاولات لديها تعثر مالي وتعاني من مشاكل مادية وعرضة للحجز، وأصحابها عرضة للحبس والتوقيف والملاحقة القضائية.

وغالبية هذه الشركات العاملة في قطاع المقاولات، لها استحقاقات مالية على السلطة الفلسطينية، ما يعني أن هذا القطاع مقبل على أزمة حادة قد تؤدي إلى انهيار وشيك لقطاع المقاولات، في الوقت الذي تطالب فيه الحكومة المقاولين بالإيفاء بالتزاماتهم للبنوك والموردين والعاملين.

500 مليون.. عائدات الحكومة من قطاع الإنشاءات في غزة

وفي سياق ذي صلة، كشف اتحاد المقاولين الفلسطينيين بمحافظات قطاع غزة في أبريل 2021، عن قيمة مجموع عائدات الحكومة الفلسطينية من قطاع الإنشاءات في المحافظات الجنوبية منذ عام 2008 حتى اليوم، والتي تزيد عن 500 مليون في الوقت الذي تحتجز فيه وزارة المالية حقوق الإرجاع الضريبي في سياسة وصفها الاتحاد بـ "عقاب جماعي".

وأوضح الاتحاد في تصريح له، أنه ليس من العدل ولا الحكمة الاقتصادية احتجاز أكثر من 80 مليون دولار في الوقت الذي شكل قطاع المقاولات رافعة اقتصادية لموارد الحكومة الفلسطينية رغم الحصار والانقسام والحروب.

وشدد الاتحاد على أن شركات المقاولات تمسكت بوطنية عالية ومسؤولية اقتصادية بتوريد كل احتياجاتها من المعابر التي تديرها السلطة الفلسطينية قبل وبعد آلية الأمم المتحدة لإعمار غزة (grm) حتى لا تكون جزءا من مخططات الانفصال.

وأضاف الاتحاد أنه لن يقبل بسياسة الإهمال المتعمدة التي أدت إلى إفلاس مئات الشركات والدفع بما تبقى منها نحو الهاوية عبر احتجاز رأسمالها النقدي المتمثل في حقوق الإرجاع الضريبي الذي يشكل أقل من خُمس ما حصلت عليه الحكومات المتعاقبة من قطاع الإنشاءات في المحافظات الجنوبية.

وأكد الاتحاد أنه من الأولى للحكومة الفلسطينية حماية شركات المقاولات في قطاع غزة عبر صرف الإرجاعات الضريبية المترصدة عليها ترسيخا لوحدة الوطن وعدم التعامل بعنصرية تجاه شركات غزة.

جوال
انضم لأفضل وأوفر
برامج الفاتورة في فلسطين
سمارت++
وتمتع بجيجات ودقائق عَكل الشبكات
وأقوى الخصومات على الأجهزة
%
#1
جوال

مقال

جان بول سارتر ومشكلة أن تكون تقدميًا باستثناء فيما يتعلق بفلسطين

ترجمة الحدث- عبد الله أبو حسان

اشتهر الفيلسوف الفرنسي جان بول سارتر Jean-Paul Sartre بمواقفه المناهضة للاستعمار، لكنه تفاجأ عندما تعلق الأمر بالاحتلال الإسرائيلي لفلسطين. لماذا كافح من أجل أن يكون متناغماً في مواقفه، وماذا يخبرنا ذلك عن المثقفين "التقدميين الذين يستثنون فلسطين" اليوم من مواقفهم التقدمية؟ هذه التساؤلات تطرحها الكاتبة رقية زروق في مقال نشرته في مجلة Current Affairs تحت عنوان: Jean-Paul Sartre and the Problem of Being "Progressive Except for Palestine"

وفيما يلي ترجمة المقال:

في عام 1979، التقى إدوارد سعيد، الذي كان شاباً نوعا ما حينها، بالفيلسوف الأسطوري جان بول سارتر Jean-Paul Sartre، وأصيب بخيبة أمل كبيرة. تم تصميم كل شيء في لقاءهما ليكون مثيرًا للإعجاب: جرى اللقاء في ندوة استضافتها المجلة الفرنسية، Le Temps Modernes ، وفي وفي المنزل "شديد البياض والتواضع" للفيلسوف ميشيل فوكو نفسه. عندما تلقى سعيد الدعوة (من سارتر ومن سيمون دي بوفوار الموازية له في الشهرة أيضا) لم يصدقها: في مقال في London Review of Books، والذي نُشر بعد 21 عامًا، قال سعيد: "في البداية اعتقدت أن البرقية كانت نوعا من أنواع المزاح. ربما كانت ععوة من كوزيما Cosima وريتشارد فاجنر Richard Wagner للحضور إلى بيروت، أو من ت. س. إليوت T.S. Eliot وفيرجينيا وولف Virginia Woolf لقضاء فترة بعد الظهر في مكاتب داي Dial. كان سعيد، في هذه المرحلة من حياته المهنية، أستاذًا للأدب المقارن في جامعة كولومبيا، وكان قد نشر للتو كتابه الشهير الاستشراق، وهو حجر الزاوية في دراسات ما بعد الاستعمار. وهكذا في الندوة، شعر إدوارد سعيد في البداية بالوفرة الغامرة لهذه الصحبة ("أتذكر بلا داع وبغباء تقديم فوكو لـ [سارتر]")، انتظر إدوارد سعيد سارتر ليقول شيئًا عميقًا وذا مغزى عن هذا الموضوع (الذي وُصف بلطف على أنه "سلام" في الشرق الأوسط ") والذي كان سبباً في قدوم عدد كبير من الناس إلى الفعالية. ولكن عندما طالب سعيد أخيرًا أن يتحدث سارتر الصامت، كان كل ما فعله الفيلسوف الراديكالي المسن هو "مدح شجاعة [الرئيس المصري] أنور السادات" - الذي شارك في العام السابق في توقيع اتفاقيات كامب ديفيد سيئة السمعة مع رئيس الوزراء الإسرائيلي مناحيم بيغن - "في أكثر الأماكن العامة التي يمكن تخيلها ابتذالاً". وكانت الحقائق البديهة التي تدرب سارتر على قولها إخبارية كنصوص وكالة رويترز للأنباء

ذهل سعيد. وفي مقالته، انتقد سارتر ليس فقط على تصريحاته بشأن السادات، ولكن أيضًا - وبطريقة أكثر إدانة- لصمته الواضح بشأن فلسطين.

كان سارتر، بالنسبة لجيل سعيد، "أحد الأبطال المثقفين العظماء في القرن العشرين" وكان عمقه الفكري" في خدمة كل قضية تقدمية تقريبًا" في عصر إنهاء الاستعمار، واحتضن الحركات الاجتماعية من الجزائر إلى كوبا إلى الكونغو. استند العديد من العرب المشاركين في حركات إنهاء الاستعمار في جميع أنحاء الشرق الأوسط إلى كتابات سارتر الفلسفية الملهمة عن الوجودية وكتاباته السياسية عن الانعتاق الذاتي. لكن في عام 1979، وقبل عام من وفاته، أصبح سارتر، في نظر سعيد، شبحًا عن المفكر الثوري السابق لا يمكن التعرف عليه. وكتب سعيد: "لا يمكنني أن أنسى موقف [سارتر] من الجزائر، والذي لا بد أنه كان أصعب عليه تبنيه كفرنسي من تبني موقف ينتقد إسرائيل". ويضيف سعيد: "لكني كنت مخطئا بالطبع."

بعد أكثر من 40 عامًا، تواصل إسرائيل طرد العائلات الفلسطينية، وبناء مستوطنات غير قانونية، وفي التجدد الأخير للصراع، قصفت غزة بلا رحمة تحت اسم "عملية حارس الأسوار". وقُتل، حتى تاريخ 19 مايو / أيار، ما لا يقل عن 243 شخصًا، كما وتم تشريد أكثر من 72,000 فلسطيني وتدمير أكثر من 184 مبنى سكنيًا وتجاريًا. وقد أدانت منظمات حقوق الإنسان الكبرى في العالم إسرائيل لفرضها نظام الفصل العنصري وارتكاب جرائم حرب وإفلاتها من العقاب. ومع ذلك، تواصل وسائل الإعلام الرئيسية تصوير "الصراع الإسرائيلي الفلسطيني" على أنه نوع من الصراع المعقد الذي لا أمل فيه، ويعتبر موقف سارتر المحبط تاريخيًا ذو الطابع "التقدمي الذي يستثني فلسطين" (PEP) منتشرا إلى حد ما في الولايات المتحدة بين التقدميين المزعومين. فهو ما يزال موقفا كريها ولا يمكن الدفاع عنه.

اكتسب التهكم الساخر (والمتبصر) بعبارة "التقدمي المستثني لفلسطين" درجة معينة من الشعبية على مر السنين. في الآونة الأخيرة، نشر مارك لامونت هيل Marc Lamont Hill (أستاذ في جامعة تمبل Temple University) وميتشل بليتنيك Mitchell Plitnick (الكاتب والمحلل السياسي) كتابًا بعنوان "باستثناء فلسطين : حدود السياسة التقدمية Except for Palestine: The Limits of Progressive Politics، حيث يستكشفان في الكتاب كيف يمكن للتقدميين المزعومين في أمريكا، وكيف ينبغي عليهم، توسيع سياساتهم لتشمل الدعوة ضد اضطهاد الفلسطينيين. يدعو كتاب هيل Hill وبليتنيك Plitnick إلى مزيد من التدقيق في (عدم) الاحترام الليبرالي لفلسطين والموقف الصامت - أو المحير في بعض الأحيان - الذي يتبناه العديد من التقدميين. من للديمقراطيين مثل آيانا بريسلي Ayanna Pressley ورو خانا Ro Khanna الذين صوتا ضد BDS في قرار مجلس النواب رقم 246، إلى جانب الرؤية للمربكة لألكساندريا أوكاسيو - كورتيز Alexandria Ocasio-Cortez's بشأن تحقيق السلام بين الإسرائيليين والفلسطينيين، إلى صمت تولسي غابارد Tulsi Gabbard' الفعلي عن قصف إسرائيل الأخير لغزة، والعديد من الرموز التقدمية المشهورة التي أثبتت أنها غير متناغمة (إذا ما استخدمنا عبارات لطيفة) وغير موثوقة في مناصرتها لفلسطين داخل السياسة الأمريكية.

استخدم الأشخاص المطلعون على الحملة من أجل حقوق الإنسان الفلسطينية بشكل واسع عبارة "تقدمية باستثناء فلسطين" كوصف عام للشخصيات اليسارية داخل السياسة الأمريكية الذين يبدون أنهم يدعمون العدالة العرقية والعدالة الاقتصادية ويميلون إلى اليسار فيما يتعلق بقضايا الهجرة وحقوق مجتمع المثليين، وحقوق المرأة - ولكنهم في طرفة عين، يصيبهم بعض الذهول المستنزف عندما يطلب منهم توسيع سياساتهم لتشمل قضية فلسطين.

يحاول العديد من هؤلاء التقدميين المزعومين أن يظلوا "محايدين" أو "دقيقين" ، محاولين السير على حبل مشدود لإرضاء المؤيدين على جانبي الصراع. على سبيل المثال، دفعت محاولة المرشح الرئاسي السابق بيتو أوروورك Beto O'Rourke لتحقيق سجل "متوازن" به ليؤكد على مكانة إسرائيل باعتبارها "مساهمًا حاسمًا في أمننا القومي في المنطقة" بينما كان يُصدِّر مخاوف متقطعة بشأن انتهاكات حقوق الإنسان ضد الفلسطينيين، حتى أنه كان يعارض بحنو حزمة مساعدات أو اثنتين لإسرائيل. آخرون، مثل نائبة الرئيس كامالا هاريس Kamala Harris، ينخرطون في التخيل المضاد من خلال الإصرار على أن إسرائيل تلبي بالفعل المعايير الدولية لحقوق الإنسان. وربما تحمل تولسي غابارد Tulsi Gabbard وجهات نظر تذكرنا كثيرًا بسارتر - على الرغم من أن مواقفها تدعي أنها "مناهضة للإمبريالية"، إلا أن سجلها الانتخابي فيما يتعلق بالصراع يدلل على خلاف ذلك: لقد شجبت "آلة الحرب النيوليبرالية / المحافظين الجدد" التي تحفز الولايات المتحدة على الانخراط في حروب "لا طائل منها"، لكنها صوتت أيضًا لصالح مشروع قانون مكافحة BDS وقرار مجلس النواب رقم 23 والذي يعيد التأكيد على تعهد الولايات المتحدة باستخدام حق النقض ضد قرارات الأمم المتحدة التي تطالب إسرائيل باحترام القانون الدولي.

هذا النوع من الرقص حول قضية فلسطين ليس بالأمر الجديد. أبدا إدوارد سعيد تألمه، في مقابلة عام 1988

في [كتاب] "السلطة والسياسة والثقافة"، لغياب دعم اليسار الأمريكي لفلسطين، قائلاً إنه شيء غريب أن تلحظه. ويلخص سعيد موقف اليسار الأمريكي تجاه فلسطين كمزيج من الافتقار إلى المعرفة، والحديث المنمق عن إسرائيل باعتبارها معقلًا للديمقراطية في الشرق الأوسط، وكونها أيضًا "مكانًا لبقايا المحرقة" والتي قيدت رد الفعل السياسي والفكري لليسار الأمريكي بشأن قضية فلسطين "بدرجة مذهلة". وبالنظر إلى جميع "القضايا ما وراء النظرية" التي ظهرت في النقاشات المختلفة عن اليسار مثل "دور المثقف" و "دور اليسار في السياسة الأمريكية"، فيجب أن تكون الحقيقة المتمثلة في أن إسرائيل تتلقى مليارات الدولارات في المجالات السياسية والعسكرية كإعانات مالية من الولايات المتحدة هي في طليعة العديد من هذه النقاشات.

يوضح سعيد: "هذا هو المكان [...] الذي يلعب فيه المثقفون الأمريكيون دورًا مباشرًا للغاية"، مضيفًا أن قضية فلسطين "متضمنة في العديد من القضايا التي كان اليسار متحمساً بشأنها. ومع ذلك، شارك المثقفون الأمريكيون في زمن سعيد في القليل جدًا من الإجراءات المنسقة أو المنظمة حول هذه القضية - ويمكن القول إنهم لم يفعلوا ذلك حتى الآن. وينطبق الشيء نفسه على السياسيين الأمريكيين الرئيسيين. كما ويتساءل سعيد غير مصدق: "إذا قلت من ناحية إننا ضد تقديم الدعم للأنظمة القَمعية في أمريكا اللاتينية وجنوب إفريقيا وأجزاء مختلفة من شرق آسيا، فما هي المشكلة في قول نفس الشيء من منظور أممي حول إسرائيل؟"

لقد أقلقت قضية فلسطين حفيظة السياسيين الليبراليين لعدة أسباب، وفي المقام الأول لأنها توضح الطبيعة المتناقضة لسياساتهم التي يفترض أنها تستحق الثناء. بينما لم يكن جان بول سارتر أمريكيًا ولا سياسيًا، فقد وقع في فخ مماثل. كان تفكيره في موضوع إسرائيل وفلسطين - معقدًا ومربكًا نظرًا لمواقفه الأخرى المناهضة للاستعمار - حاول إلى حد كبير اتخاذ موقف "محايد". ولم يكن سارتر وحده في هذا الشأن: إذ لم يتعاطف عدد من معاصريه الذين غالبًا ما ارتبطوا باليسار - مثل سيمون دي بوفوار وألبير كامو وميشيل فوكو - كثيرًا مع تحرير فلسطين ولم يتجاوزوا الأقوال المبتذلة. وكانت مواقفهم، وتحديداً مواقف سارتر خلال حرب الأيام الستة، ترمز لنفس الجبن الأخلاقي اليوم.

سارتر وحرب الأيام الستة

شارك المثقفون العرب في القرن العشرين في مشروع جذري لإعادة تكوين الثقافة والذات العربية في مرحلة ما بعد الاستعمار. ولجأ العديد من هؤلاء المفكرين العرب إلى سارتر، وجمعوا بين الوجودية وأخلاقيات سارتر في الانخراط - بشكل أساسي (وللمفارقة) في عملية تحمل المسؤولية السياسية عن أفعال الفرد - في القضايا المناهضة للإمبريالية. كان هدفهم معالجة الحاجة الاجتماعية والثقافية والسياسية الملموسة للناس لإنهاء الاستعمار وإعادة اكتشاف أنفسهم في مجتمع ما بعد الاستعمار. حتى أن الكثيرين استخدموا أخلاقيات سارتر في المشاركة كأداة علاجية لإزالة المخلفات التي خلفها الاستعمار والتخفيف من تركة الصدمة الاستعمارية. كانوا يؤمنون أن هذا سيكون بمثابة طريق معقول لإنهاء الاستعمار الثقافي والسياسي.

كانت حرب الأيام الستة نزاعًا ذائع الصيت قصير الأمد واستمر من 5 يونيو إلى 10 يونيو عام 1967. أما الموقف المتشدد الذي اتخذته إيباك AIPAC وأنصار إسرائيل فتمثل في أن الحرب كانت مبررة - فالهجوم الوشيك من قبل جيران إسرائيل العرب مصر، الأردن وسوريا، اللذين حشدوا قواتهم التي تفوق عدد قوات الجيش الإسرائيلي حول حدودها، كانت ستمحو إسرائيل من على الخريطة. زعندما رأت إسرائيل أن وجودها على المحك، شنت هجومًا استباقيًا وفازت بالحرب في ستة أيام فقط.

ومع ذلك، يجادل جون كويجلي John Quigley، أستاذ القانون الدولي بجامعة ولاية أوهايو، بأن هذا الموقف المتشدد كان خاطئاً. وبالاعتماد على وثائق رفعت عنها السرية وأتاحتها الولايات المتحدة وفرنسا وبريطانيا وروسيا، يؤكد كويغلي Quigley أن جيش إسرائيل يفوق عدد جيرانها العرب على حدودها وأن هجوم إسرائيل الاستباقي المزعوم على العرب لا يمكن تبريره على أنه دفاع عن النفس بل هو عمل عدواني انتهك القانون الدولي. في هذا الوقت، استولت إسرائيل على شبه جزيرة سيناء والضفة الغربية وقطاع غزة والقدس ومرتفعات الجولان، وكانت الحرب بمثابة نقطة تحول مهمة في الصراع غير المتكافئ بين إسرائيل وفلسطين. كانت نتيجته أكثر من 100,000 لاجئ وتم ضم أكثر من مليون فلسطيني تحت الحكم الإسرائيلي. كانت الأرض التي حصلت عليها إسرائيل خلال الحرب أيضًا محور قرار الأمم المتحدة رقم 242، الذي دعا إلى انسحاب إسرائيل من هذه الأراضي. في وقت لاحق أصبح الأساس لاتفاقات كامب ديفيد، التي وضعت خارطة طريق مصطنعة لحل الدولتين.

في الأشهر التي سبقت حرب الأيام الستة، أثار موقف سارتر الرجعي تجاه فلسطين غضب أصدقائه العرب. لماذا ا؟ ما الذي يمكن أن يجعل سارتر يتنصل بشكل غير واضح من إرثه الفكري المتعلق بمناهضة الإمبريالية عندما تعلق الأمر بحرب الأيام الستة عام 1967؟

يكمن جزء من الإجابة في تعقيد فهم سارتر لمفهوم الضحية. وفقًا للمؤرخ يوآف دي كابوا Yoav Di-Capua- في كتابه No Exit: Arab Existen-tialism، Jean-Paul Sartre & Decoloniza-tion (2018) - فإن الفيلسوف الشهير الذي لعبت كتاباته دورًا بارزًا في "الحمض النووي الفكري لإنهاء الاستعمار العربي" والذي اعتبرالعرب "الذوات الجمعية للاستعمار" قد وقف مشلولاً تماما عندما تعلق الأمر بالتنديد العلني للعدوان الإسرائيلي. في عام 1967، ومع كون ذكريات الهولوكوست لا تزال راسخة في ذاكرة العالم، كان سارتر مترددًا في انتقاد الدولة التي أسسها الناجون منها. كما كتب دي كابوا Di-Capua، كان من الصعب على سارتر التوفيق بين "الآخر" اليهودي و "الآخر" الفلسطيني. من كان الضحية الأكبر؟ من كان يستحق التعاطف مع قضيتهم؟ اعتقد العديد من العرب أن سارتر "يتاجر بالتعويضات الأخلاقية لأجل الصهاينة".

,وقد أعرب الفيلسوف الراحل بيير بورديو عن هذا للموقف بشكل أفضل في Revue d›études pales-tiniennes ، مشيرًا إلى أنه "يتردد دائمًا في اتخاذ مواقف عامة" بشأن قضية إسرائيل وفلسطين ، لأنه "لم يشعر بالأهلية الكافية لتقديم توضيحات حقيقية حول هو السؤال الأكثر صعوبة والأكثر مأساوية بلا شك في عصرنا (كيف نختار بين ضحايا العنف العنصري بامتياز وضحايا هؤلاء الضحايا؟) ".

وعندما حظي الصراع الإسرائيلي الفلسطيني باهتمام عالمي، امتنع سارتر عن إبداء رأيه لأطول فترة ممكنة. ولكن نظرا لكونه قد كان أبرز محلل أوروبي لسياسات التحرير المناهضة للاستعمار في ذلك الوقت، فقد شعر بضغط متزايد للدخول علانية في المعركة. بالنسبة للعديد من العرب الذين أيدوا تحرير فلسطين، كان موقف الحياد موقفًا غير معقول- وكان البعض يأمل في أنه قد يتغير إذا كان سارتر يرى بأم عينه الفقر المدقع في مخيمات اللاجئين الفلسطينيين، في جباليا ودير البلح. كتب دي كابوا Di-Capua أنه بعد زيارة سارتر لهذه المخيمات، صرح علنًا:

بفضل مساعدتكم، تمكنت من مشاهدة الواقع الفلسطيني وأن أفهم بشكل أفضل ما يشعر به الرجال والنساء والأطفال الذين يعيشون في المخيمات بعيدًا عن أرضهم. كما أفهم رغبتهم العميقة في العودة إلى هذه الأرض. أعلم أنكم تقومون حالياً بتنظيم أنفسكم من أجل تحقيق هذا الهدف، وبما أنني أفهم [وضعكم]، أود أن أعرب عن تعاطفي معكم ... أود أن أؤكد لكم أنني أعترف تمامًا بالحق الوطني لجميع اللاجئين الفلسطينيين في العودة إلى بلادهم.

من المفترض أن سارتر عبر عن هذه المشاعر دون أن يعرف بالضبط كيف سيوفق بين حق العودة الفلسطيني ودعمه لإقامة دولة إسرائيل. على الرغم من رغبة كل من العرب والإسرائيليين في الحصول على مصادقته خلال هذا الوقت المضطرب، كتب دي كابوا Di-Capua أن العرب فقط هم الذين أخذوا كتابات سارتر على محمل الجد. أدرك المثقفون الإسرائيليون عمومًا أن "فكر سارتر كان أحد مكونات المشروع العربي لما بعد الاستعمار" ، وبالتالي اعتبروه الفيلسوف المفضل لدى المثقفين العرب. وبالتالي، توقع العرب اتساقًا فكريًا وسياسيًا من سارتر. لقد توقعوا منه أن يستخدم اللغة الوجودية والإنسانية التي استخدمها في كثير من الأحيان كسلاح ضد القوى القمعية الأوروبية في كوبا والجزائر والكونغو لصالح قضية فلسطين.

الفاكهة المرة لكلا الجانبين

في عام 1967، عندما وقفت المنطقة على شفا الحرب، وضع حكم سارتر المتعاطف في الميزان. في المحطة الأخيرة من رحلته إلى إسرائيل، والتي قام بها لاستكشاف "جانبي" الصراع، زار أحد الكيبوتسات حيث التقى بالعمال اليهود الذين يجسدون مجازا "المثقف الفلاح". كان كل من سارتر وشريكته دي بوفوار "يخجلان من مصير اليهود في أوروبا ويسعدان برؤية أنهم يبنون حياة اشتراكية جديدة لأنفسهم" في إسرائيل. في الواقع، رأى الاثنان العمال كنموذج يمكن تقديمه للعالم حول كيفية الجمع بين المرونة والاشتراكية، إذ قال سارتر: "من حقك أن تفتخر". تركهم هذا اللقاء متأثرين بشدة، وغادر سارتر إسرائيل برأي أكثر تعاطفاً مما كان عليه عندما وصل. لكن هيئة المحلفين ما زالت باتظاره: فقد رفض سارتر اختيار جانب، قائلاً إنه لا يزال يشغل منصب "الغياب"، وبعبارة أخرى، لا رأي على الإطلاق.

كثيرًا ما تُسمع أصداء هذا الموقف اليوم: فقد تم تغليفه بشكل مثالي من قبل مشاهير مثل ريهانا Rihanna وديبرا ميسينج Debra Messing وجال جادوت Gal Gadot. تشتهر هذه الشخصيات العامة بمواقفها التقدمية بشأن مختلف قضايا العدالة الاجتماعية

الأخرى، إلا أنها لا تزال تحتفظ بالموقف الكلاسيكي الذي يستثني فلسطين جنبًا إلى جنب مع جرعة صحية من فكرة الوقوف إلى "كلا الجانبين": فكرة أن كلاً من إسرائيل وفلسطين على قدم المساواة، على الرغم من أن أحدهما هي سلطة مسلحة نوويًا والجانب الآخر لا مسموح له حتى أن يكون له عملته الخاصة. حتى ماركة الآيس كريم Ben and Jerry›s، التي أصدرت بيانًا مباشرًا مفاجئًا بشأن مقتل جورج فلويد العام الماضي ، وحقوق المثليين، وتغير المناخ ، فإن سيرتهم الذاتية التقدمية، ليست كذلك. إصدار تصريحات جريئة تناصر حركة "حياة السود مهمة" وتستمر في جني الأرباح من المستوطنات الإسرائيلية غير الشرعية في فلسطين؟ هو أمر يناسب فاتورة "باستثناء فلسطين PEP".

تم انتقاد موقف PEP (أو قوض) بحق من قبل الصحفي لأسترالي والمخرج الوثائقي جون بيلجر-John Pilg er. الذي يعترض من خلال عمله على التغطية الإعلامية الغربية المنزوعة عن السياق النزاع الإسرائيلي الفلسطيني، والتي تقدم إلى حد كبير وهم المساواة بين الجانبين بدلاً من حقيقة الصراع غير المتكافئ بين المضطهِدين والمضطَهَدين. بالنسبة للأقوياء، هذا المخيال مريح لأنه يعفيهم من مسؤولية اتخاذ القرارات الصعبة. تصريحات الرئيس بايدن في البيت الأبيض بشأن القصف الأخير لغزة هي مثال كلاسيكي. إذ قدم تعازيه في الأرواح التي فقدت من الجانبين، وأشاد ب "ضبط النفس" الذي تمارسه إسرائيل، وأكد حقها في الوجود، وأصر على أن كلا الجانبين يستحقان العيش بسلام. بعد لحظات من وعده بإعادة ترسانة إسرائيل العسكرية (وحرمان الفلسطينيين من حقهم في فعل الشيء نفسه)، روّج بايدن لـ "الفرصة الحقيقية لإحراز تقدم". بالنسبة للمدافعين عن إسرائيل، كان مجرد الاعتراف بمعاناة الفلسطينيين خطوة متقدمة جدًا. بالنسبة لمؤيدي فلسطين - أو أي شخص لديه مبادئ أخلاقية متسقة - لم يكن ذلك كافيًا.

إن سياسة الحياد التي التزم بها سارتر، والتي يُفترض أنها ضد حكمه الأفضل وضد أخلاقيات المشاركة التي نشرها بفخر لسنوات، ستدفعه إلى إدارة ظهره للمثقفين العرب. تبلور هذا "الفعل الخائن الأيقوني" في أذهانهم بعد أن وقع سارتر ودي بوفوار (جنبًا إلى جنب مع عدد كبير من الشخصيات البارزة الأخرى، مثل بابلو بيكاسو ومارغريت دوراس) بيانًا مؤيدًا لإسرائيل أكد سيادة إسرائيل وحقها في الوجود. بالإضافة إلى ذاك، ومقتنعًا بأن بقاءه ذاته كان على المحك، تم نشر الرسالة في 30 مايو 1967 من قبل صحيفة لوموند في خضم الاحتجاجات المناهضة للعرب التي بدأت تكتسب زخما في فرنسا. في الوقت الذي كان فيه سارتر يأمل أن يظل محايدًا تقريبًا بشأن النزاع، فُسرت هذه البادرة على أنها دعم صارخ لإسرائيل، ودمرت أي وهم بأنه لم يتخذ جانبًا. عندما اتهمه المفكر المصري وصديق سارتر لطفي الخولي بالتخلي عن نضال الشعب العربي بعد التوقيع على البيان قبل حرب الأيام الستة، أجاب سارتر: "كل ما فعلته هو اتخاذ موقف مبدئي ضد الحرب. لم أغير دعمي للنضال العربي والفلسطيني من أجل الحرية والتقدم ". ومع ذلك، على الرغم من ذلك، وعن غير قصد، تخلى عن النضال - في الواقع، وهل كان تبنى القضية في الأساس؟

أثرت عدة عوامل على قرار سارتر بالتوقيع على البيان: كان من المحتمل جدًا أن تكون الخيانة الفرنسية لليهود في الحرب العالمية الثانية، والفظائع التي ارتكبت في الهولوكوست، والشكوك الشخصية ومخاوف أصدقائه وعائلته (بما في ذلك ابنته اليهودية بالتبني) قد ساهمت في غموض سارتر الثابت بشأن الصراع الإسرائيلي الفلسطيني. بالإضافة إلى ذلك، انزعج اليسار الفرنسي في فرنسا بشدة من إغلاق الرئيس المصري جمال عبد الناصر لمضيق تيران في 22 مايو، كما أن المظاهرات المتصاعدة التي سبقت حرب الأيام الستة في العالم العربي جعلت سارتر مرعوبًا من "شبح وقوع محرقة ثانية". " كما كتبت أمينة البنداري، الأستاذة المشاركة في التاريخ بالجامعة الأمريكية بالقاهرة، فإن "إسرائيل كانت مقدسة" بالنسبة لسارتر والعديد من المثقفين الأوروبيين اليساريين. في أي موضوع يتعلق بالنزاع، كانت الأهمية الأمنية والتاريخية لدولة إسرائيل الوليدة هي صاحبة "الاعتبار الأول ، بغض النظر عن عدالة القضية".

وتقول البنداري إنه وعلى الرغم من أن سارتر كان ضد حكم الفرنسيين في الجزائر، وهو "وضع استعماري مشابه"، برر سارتر الوجود الاستعماري للصهيونية في فلسطين بأنه "نتيجة" لأفكار العصر "(أواخر القرن التاسع عشر!)، وتتساءل فهل كان هذا يعفي الدولة الإسرائيلية بطريقة ما من المسؤولية الأخلاقية والسياسية لتهجير أمة بأكملها.

بعد سنوات فقط، تراجع سارتر عن بعض المواقف الرئيسية المتعلقة بإسرائيل، بما يتماشى أكثر مع نضالاته السابقة ضد الإمبريالية. عندما وقعت هجمات ميونيخ عام 1972 - حيث احتجز الكوماندوز الفلسطيني أعضاء الوفد الأولمبي الإسرائيلي كرهائن في محاولة لتأمين إطلاق سراح السجناء السياسيين - اتخذ سارتر موقفًا مثيرًا للجدل. في مقالته "عن ميونيخ"، كتب عن استخدامات العنف الفلسطيني، قائلاً إن الإرهاب هو سلاحهم الوحيد في الحرب بين الفلسطينيين والإسرائيليين. وفقًا لسارتر، "ليس أمام الفقراء المضطهدين أي خيار آخر [...] لا يمكن لهذا الشعب المتروك والمنفي أن يُظهر شجاعته وقوة كراهيته إلا من خلال تنظيم هجمات مميتة". على الرغم من أن موقفه سيتأرجح لاحقًا، وبدا أنه قد يصبح أكثر تعاطفًا مع القضية الفلسطينية على مر السنين، إلا أن سجل سارتر الثابت في تبني القضايا المعادية للإمبريالية - كما يكرر سعيد في مقاله - فشل في النهاية في معالجة قضية فلسطين. عندما كان الأمر مهمًا، كان موقفه من "الغياب" أقرب إلى الصمت.

نحن نقف عند منعطف ثقافي وسياسي غريب عندما يتعلق الأمر بفلسطين. على الرغم من أن النائبة ألكسندريا أوكاسيو كورتيز -Alexandria Ocasio Cortez قد اتُهمت سابقًا بقيادة اللوبي الإسرائيلي، فقد قدمت أيضًا قرارًا مع زملائها الديمقراطيين مارك بوكان ورشيدة طليب يدعو إلى وقف مبيعات الأسلحة لإسرائيل. بالإضافة إلى ذل ، قدم السناتور بيرني ساندرز مؤخرًا قرارًا بمنع 735 مليون دولار من مبيعات الأسلحة الأمريكية لإسرائيل (رغم أنه سرعان ما تم سحبه).

مع كل قنبلة يلقيها الجيش الإسرائيلي على غزة، تصبح المخاطر أكثر وضوحًا - وكذلك جبن أولئك الذين يزعمون أن اختيار جانب ما هو ببساطة أمر صعب للغاية. فأن تكون محايدًا لا يعني فقط أنك ترفض قول شيء ما خوفا من فقدان المكانة أو تنفير المؤيدين؛ بل الأمر يعني الانخراط في الأفكار المبتذلة التي تركز على إعادة توجيه الانتباه بعيدًا عن القمع الإسرائيلي ونحو التصريحات الغامضة والغامضة ضد "الكراهية" أو "العنف". في حين كان ساندرز واحدًا من العديد من الأصوات البارزة التي تدين العدوان الإسرائيلي، إلا أنه لم يتجاوز حدود سارتر. من خلال الدعوة إلى "نهج عادل" للنزاع ومطالبة التقدميين "بتخفيف حدة الخطاب" حول الفصل العنصري الإسرائيلي، توضح الميزة الخاصة بالسياسة الواقعية لساندرز التدريبات الذهنية المملة اللازمة لتجنب اتخاذ موقف غير مريح وصادق من فلسطين والتي يمكن أن تنفر الأصدقاء والعائلة (أو، في حالة السياسي، الحلفاء والمانحين) في هذه العملية.

بنى سارتر، مثل ساندرز، سمعته من خلال تقديم حجج جريئة وشجاعة نيابة عن الضعفاء. المبادئ التي قدموها - والتي يشترك فيها التقدميون المعاصرون - هي مبادئ نبيلة. لكن هذه المبادئ تحتاج إلى أن يتم تطبيقها باستمرار ليكون لها أي معنى حقيقي. نشأت المعضلة الأخلاقية المتميزة لسارتر من خوفه من تجاوز خط الحياد ومحاولة الوقوف في وسط طرفين متعارضين - لكن التداخل في هذا الخط لا يمكن الدفاع عنه عندما تكون الأرواح في خطر. إن الشخص الذي ينتمي إلى فكرة كونه "التقدمي باستثناء فلسطين" والذي يخشى عبور خط سارتر هذا ليس له قيمة كبيرة ليقوله عن سياسات التحرر اليوم.

nedm.palestine www.nedm.ps
+970 (2) 296 3623 +970 (2) 296 3621 ☎
Near East Distribution & Marketing - شركة الشرق الأدنى للتوزيع والتسويق
Anabtawi

مقال

الصهيونية في فلسطين

خاص الحدث

أعادت صحيفة فلسطين التي صدرت في يافا خلال الفترة من 1911-1967 مقالا عن صحيفة "البلاغ" المصرية تركز فيه الصحيفة على البعد الاقتصادي في تحقيق وجود سياسي للصهيونيين في فلسطين.

وفيما يلي نص المقال:
لزميلتنا "البلاغ" المصرية الغراء اعمام زائد بشوؤن الشرق، وهي تتابع القضية الفلسطينية باهتمام زائد وتنقلف عنا كثيرا مما نكتبه عنها، وقد اطلعنا لها في المدة الأخيرة على مقال كتبته بالعنوان المتقدم ننقله عنها فيما يلي شاكرين لها اهتمامها بالشؤون الشرقية فوق اهتمامها بالقضية المصرية، قالت "البلاغ الغراء":
كان من رأينا دائما أن الفوز في فلسطين سيكون المنتصر في المعركة الاقتصادية الهائلة التي بدأها الصهيونيون في تلك البلاد، ولذلك أهبنا بالفلسطينيين أن يجمعوا أمرهم ويتجهوا بكل قواهم إلى إحياء المشروعات الوطنية، وإنشاء الشركات الصناعية والتجارية واستثمار رؤوس أموالهم في كل ما من شأنه أن ينميها حتى لا يصل الصهيونيون يوما إلى مركز الرزعامة الاقتصادية، لأنهم إذا وصلوا إلى هذا المركز فقد أصبح من السهل أن تكون لهم الزعامة السياسية، وهي ذلك الشبح الخطر الذي يخشاه الفلسطينيون ويحسبون له حساباً كبيراً، ووفي الحق لقد عرف الفلسطينيون هذا وأدركوا أن عليهم السعير المستمر لا ليحتفظوا فقط بموقفهم من حيث أنهم الأكثرية التي يجب أن تكون لها الثروة الأهلية الكبرى ورأس المال الأكبر وأغلبية ةالمشروعات والمرافق العامة، بل أن يضيفوا إلى ذلك دخولهم في حلبة المنافسة مع الصهيونيين الذين يعتمدون في مشروعاتهم الاقتصادية التي يقومون بها على موارد عالمية مختلفة ومن أجل هذا لا نعود إلى هذا الموضوع لأننا في حاجة إلى إقناع الفلسطينيين أن يضيفوا إلى جهودهم السياسية جهودا اقتصادية من ذلك القبيل، فإنهم جميعاً يقرون هذه النظرية التي تعنى بالدعاية لها صحفهم على اختلاف مذاهبها، حت أنه لما قام المجلس الإسلامي الأعلى بتنفيذ تلك الفكرة السامية وهي شراء الأراضي ممن يرغب في بيعها من الوطنيين حتى لا تتسرب إلى أيدي الصهويونيين، وجد من جميع طبقات الشعب أكبر الارتياح، كمخا وجد في جميع الصحف حتى المناوئة له، أكبر التعضيد والتحبيذ، وإنما نعود إلى هذا الموضوع بمناسب التصريح الذي أدلى به الدكتور ويزمن رئيس الجمعية الصهيونية العالمي في المؤتمر الصهيوني الذي عقد في زوريخ إذ يقول "سيبحث هذا المؤتمر فيما لم تبحث فيه المؤتمرات الصهيونية السابقة أي في إدخال قوى جديدة على القوى التي تعمل لبناء الوطن المعقود الآن في فلسطين، إن النظام الأول لم يعد كافيا فقد تطورت الأمور تطوراً سريعاً لم نتوقعه بعد وفاة الدكتور هرتسل، إذ أن الصهيونية لم تعد "فكرة روحية" وإنما أصبحات مشروعاً "عمليا" ومن الواجب الآن أن نوفق بين النظريات والعمليات".
ثم يقول "ولقد استرعى تقدم فلسطين انتباه اليهود في أنحاء العالم وأكسبتنا مشاريعنا العملية أنصاراً وضعوا مساعداتهم تحت تصرفنا وأننا نشكر من صمميم أفئدتنا المستر لويس مارشال والمستر فلكس واربورغ "هما زعيما اليهود الأمريكيين غير الصهيونيين" لمساعدتها الثيمنة لنا ولقبولهما أن يتعاونا معنا في العمل. إننا كنا وحيدين عندما كنا نحارب في سبيل "الفكرة" أما الآن ونحن نحارب في سبيل "تحقيق الفكرة تحقيقا عمليا" فإننا نحتاج إلى المساعدة والعون من يهود العالم أجمع".
وإذن ما الفرق بين تلك الفكرة الروحية وذلك المشروع العملي؟
لا نظن أننا في حاجة إلى القول بأن المراد بذلك إنه إذا لم يكن في الإمكان جعل فلسطيني صهيونية بمعنى هذه الكلمة من الوجهة السياسية فليكن أن يسعى الصهيونييون لجعلها هكذا بمعنى هذه الكلمة أيضا من الوجهة العملية، أليس هو يقول "نحن نحارب في سبيل تحقيق هذا الفكرة تحقيقاً عمليا" وإذن قبل أن نستطيع القول بأن الصهيونيين أدركوا أن التشبث "ولو فثي الوقت الحاضر" بتحقيق جميع مطامعهم السياسية غير مؤد إلى النتيجة التي يريدونها من جهة ثم هو قد ينفر منهم اليهود غير الصهيونيين من جهة أخرى فأداروا الدفة إلى اتجاه آخر يجعلونه هدفهم الأول أو سُلما إلى تحقيق تلك المطامع السياسية، ليتفرغوا له من جهة وليضموا مساعدة اليهود غير الصهيونيين من جهة ثانية؟ نعم يمكن القول بهذا وإذن نصل إلى النتيجة التي طالما رددناها في مقالاتنا الماضية وهي ان الفوز في فلسطين سيكون المنتصر في المعركة الاقتصادية دون سواها وقد بنينا هذا الرأي على أن الصهيونية في فلسطين لا يمكن أن تقفد على أقدامها وحدها من الوجهة السياسية لأن السياسة الإنجليزية تأبى ذلك وعلة هذا الادعاء أنها لا يمكن أن تقييم بيدها شبحا قد يزعجها يوما وهي هي التي نعلم أن فلسطين على رمية سهم من طريق مواصلاتها الإمبراطورية، وأنها الطريق المنهتظر لتغذية حوض البحر الأبيض المتوسط بالبترول الذي يقدرون له اليوم أن تخترق أنابيبه الصحراء من العراق إلى فلسطين تحتى تصب في ميناء حيفا، ولذلك فغن السياسية الإنجليزية ترى من صالحها أن تستمر تقلم أظافر الصهيونية كلما رأتها تحاول الوقوف على أقدامها حتى لا يوجد هذا الشبح.
انتهى الصهيونيون إذن إلى السعي في تحقيق فكرتهم من الوجهة العملية وأشركوا في ذلك اليهود غير الصهيونيين ولسنا نقول جديداً إذا قلنا إنهم سعوا في تحقيق الفكرة من هذه الناحية، فالأرقام التي عرضنا لها في مقالاتنا الماضية تكفي في بيان قوة هذا السعي، وشعور الفلسطينيين بذلك وبخطره على كيانهم الاقتصادي الواضح وضوحاً تاماً، وأقوال الصحف الفلسطينية في حثها بني قومها على أن ينافسوا الصهيونيين في مشروعاتهم الاقتصادية تشعرنا بأنهم يدركون حق الإدراك ما يجره عليهم التقاعس عن هذه المنافسة.
وها قد رأينا زعيما من زعماء الصهيونيين يكشف عن أغراضها ونياتها ورأينا قبل ذلك هذه الأغراض والنيات تسير في سبيل التحقيق فبات من واجب الفلسطينيين أن يعملوا لا للوقوف في وجه هذا الخطر الذي يهدد كيانهم الاقتصادي فحسب بل للتغلب عليه والاحتفاظ بمركز الزعامة الاقتصادية في بلادهم باتباع الوسائل التي يتبعها الصهيونييون وهي إنشاء المشروعات الصناعة التجارية والمالية وإصلاح الأراضي وغيرها من ضروب المنافع التي تؤدي إلى تحسين إنتاجهم وزياردة رؤوس أموالهم يساعدهم في ذلك إنهم الأكثرية وإن الصهيونيين لم يبلغوا بعد خمس سكان فلسطين، نعم إن هؤلاء يعتمدون على موارد عالية مختلفة كما قلنا، وكذلك إن الحالة الاقتصادية في فلسطين سيئة بعض الشيء، ولكن هذا لا يمنع في نظرنا من أن يتغلب الفلسطينيون في النهاية إذا وحدوا جهودهم واتجهوا نحو هذه الهدف يؤيدون الوسائل المؤدية إليه بصنوف التشجيع ويذللون العقبات التي قد تقف في سبيلهم إليه.
من أجل هذا قلنا إنه يجب على الفلسطينيين أن يضيفوا إلى جهودهم السياسية في سبيل استقلاله وحريتهم جهودا اقتصادية هم في أشد الحاجة إليها لحفظ كيانهم الاقتصادي ولإبقاء الزعامة الاقتصادية في أيديهم.

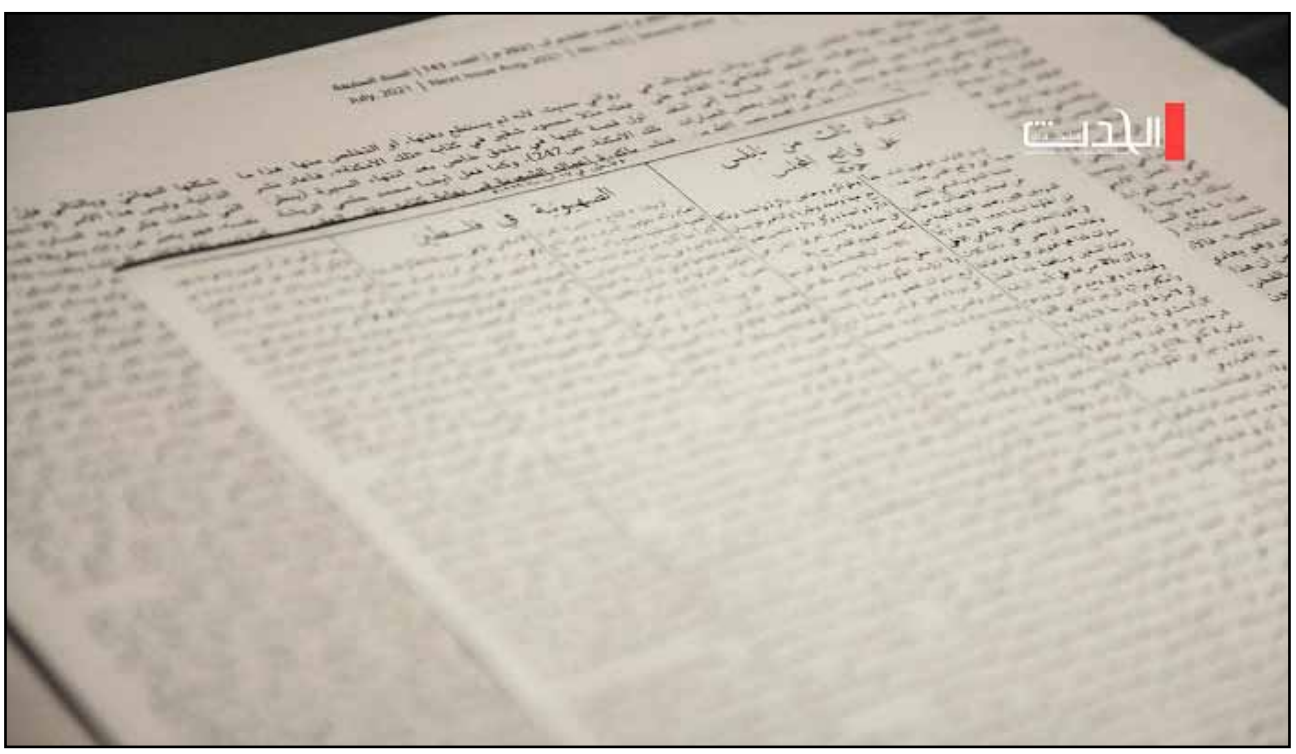

مقال

إدوارد سعيد والموسيقى وصدى رأيه في الشعراء

فراس حج محمد/ فلسطين

أحاول في هذا الوقفة مع الناقد الفلسطيني إدوارد سعيد أن أبين علاقته بالموسيقى دون أن يكون العمل استقصائيا في جميع كتبه. إنما من خلال ما اطلعت عليه من مؤلفات لإدوارد سعيد وأهمها اثنان: كتاب «خارج المكان» وكتاب «عن الأسلوب المتأخر- موسيقى وأدب عبر التيار». ولا تعدو هذه الوقفة إلا أن تكون إشارة إلى جانب من جوانب شخصية فلسطينية استطاعت أن يكون لها حضور عالمي في مؤسسات بحثية غربية على قدر كبير من الرصانة، مع تسليمي بشكل شخصي أنها لم تكن تخلو من الانحياز ضد الفلسطيني أو الشرقي أو حتى المسلم بشكل عام، مع ملاحظة أن إدوارد سعيد لم يكن مسلماً، إلا إن كتابته عن الإسلام بشكل أو بآخر لم يعجب الغربيين أو بعض الأوساط المنحازة، فقد أدخلوه إلى خانة «الإرهاب والعداء للسامية»، يضاف إلى ذلك دفاعه عن القضية الفلسطينية بمنهجية واضحة وبإصرار لم يتخلّ عنهما طوال مسيرته الحياتية.

وعلى الرغم من اهتمام إدوارد سعيد بالموسيقى، وشكّل العزف على البيانو بالنسبة إليه أكثر من مجرد موهبة إلا أنه لم يُعرف موسيقيا أو ناقدا موسيقيا، وإنما مثله في مثل كثير من المبدعين الذين وجد لديهم مواهب واضحة كانت ظاهرة في حياتهم، لكنها لم تكن هي أساس مشروعهم الفكري أو الإبداعي. وأظن- من ناحية شخصية بحتة- أن تأسيس معهد إدوارد سعيد للموسيقى في فلسطين (رام الله وبيت لحم)، لم يعدُ كونه تكريماً، ولفتاً للانتباه إلى هذا الجانب من اهتماماته الشخصية التي ربما لم تكن مركزية في صلب مشروعه الفكري. إن ذلك يشبه إلى حد بعيد تسليط الأضواء على جوانب أقل بروزا في حياة سعيد الفكرية ككتابته للشعر وللروايات، كما يقول تيموثي برينان مؤلف كتاب «أمكنة العقل... حياة إدوارد سعيد»، تلك الكتابات التي لم يحالفه الحظ ليكون مبرّزا فيها، كما كان علَماً في النقد، بل وكان إشكاليا في الفكر والسياسة على حد سواء.

ومن الملاحظ أن إدوارد سعيد كان يقلل من شأن الروايات، ويعطي النقد أهمية أكبر، فالنقاد هم الأقدر- كما يعتقد سعيد- على تغيير العالم، لا الروائيون، فقد «وجد بأنّ هناك فشلاً في مشروع كتابة الأدب إذا كنت تنوي تغيير العالم».

تحدّث إدوارد سعيد في كتابه «خارج المكان» (صدر الكتاب عن دار الآداب، بيروت، ترجمة فوّاز طرابلسي، ط1، 2000) عن جوانب متعدّدة من سيرة حياته الّتي عاشها متنقلاً بين فلسطين وأمريكا ومصر، كما أشار إلى مصادر متنوّعة أثّرت في تكوين شخصيّته الثّقافيّة ومنها الموسيقيّة، وظهر إدوارد سعيد عاشقا للموسيقى الغربيّة، وخاصّة الأوبراليّة منها، وفي معرض حديثه عن ذلك تحدّث إدوارد سعيد عن رأيه في أغاني أمّ كلثوم من خلال تلك الحفلة الّتي حضرها في أواخر الأربعينيّات، ولم يكن رأي سعيد إيجابيّا في ما أدّته أمّ كلثوم حينئذ، فوصف تلك الحفلة بأنّها «حفلة بلا فواصل، سادها نسق غنائيٌّ» وجده «رتيبا إلى حدّ مروّع في اتّساق كآبته اللّا متناهية وندبه اليائس، فإذا هو أشبه بالتّأوّه والنّحيب المتواصلين لامرئ يعاني من نوبات حادّة من الألم المعويّ»، إضافة إلى هذا الرّأي في الموسيقى يقول الكاتب إنّه لم يفقه أيّ كلمة مما غنّت، ولم يستطع أن يميّز «أيّ قوام أو شكل لتدفقاتها الرّتيبة»، وأمّا التّخت الموسيقيّ الكبير الّذي صاحبها فما وجده غير «جعجعة ألحان أحاديّة الصّوت، موجعة ومملّة في آن». (ص135)

هذا الموقف الذي اتخذه إدوارد سعيد تجاه أغاني أم كلثوم، شمل فيما يبدو كل الموسيقى العربية والتخت الشرقي، فلم يحفل إدوارد سعيد بهذه الموسيقى لا من قريب ولا من بعيد، فيما اطلعت عليه من كتب.

يدفع هذا الأمر القارئ لكثير من التّساؤلات، مع التّسليم بالحكمة القائلة «وللنّاس فيما يعشقون مذاهب»، فمن تشرّب الغناء والموسيقى الغربيّة لن يكون رأيه فيما أدّته أمّ كلثوم من غناء في غالب الأحيان إيجابيّا، ويؤكّد ذلك امتداحه في الفقرة نفسها لأوبرا «أندريه شينيه» الّتي وجد فيها «حيويّة دراميّة وحبكة مسرحيّة» تجعلانه مستغرقا فيها كليّاً. كان لإدوارد سعيد من العمر عندما حضر حفلة أم كلثوم اثنتا عشرة سنة، فكان قد تشبع على مدار ست سنوات من الموسيقى الغربية من أعمال: «نيلسون إدي وجانيت ماكدونالد» المألوفة لديه حينها كما صرح بذلك.

لقد سبق هذا الحديث عن أم كلثوم حديثه في نهاية الفصل الثاني من كتاب «خارج المكان» عن تعلقه بالموسيقى الكلاسيكية وبداية تعلمه لها وهو في سن السادسة من عمره، يقول إدوارد سعيد عن ذلك: «وكنت قد بدأت -أيضًا- في تذوق الموسيقى الكلاسيكية، بجدية كبيرة. على أنه في تعلمي دروس البيانو، وقد بدأتها في السادسة، اختزلت ملكتها الذاكرة والميلوديا عندي في التدرب على السلالم الموسيقية، وممارسة تمارين (سزيرني)، وأمي حادبة عليَّ، أو جالسة إلى جانبي؛ فكانت النتيجة شعوري المتزايد بأنَّ ثمة ما يعوق تنمية شخصيتي الموسيقية. لم أشتر الأسطوانات، ولم أستمتع بحفلات أوبرا أختارها بنفسي، قبل بلوغي الثامنة عشرة. ولما كان موسم القاهرة الموسيقي للأوبرا والباليه محظوراً عليّ، فقد لجأت إلى ما تقدمه الـ «بي.بي.سي» والإذاعة الحكومية المصرية من برامج، وكانت متعتي الكبرى الاستماع إلى برنامج الإذاعة البريطانية من خمس وأربعين دقيقة، يُذاع بعد ظهر يوم الأحد، بعنوان «ليلة في الأوبرا»، وقد اكتشفت -باكرا جدّا- من خلال الكامل في الأوبرا لجوستاف كوبيه، أنّي أكره فيردي، وبوتشيني، لكنّني أهوى القليل مما أعرفه عن شتراوس وفاجنر، اللذين لم أشاهد أعمالهما الأوبرالية إلا حين شارفت على نهاية المراهقة». (ص62)

وفي كتاب «عن الأسلوب المتأخر» الذي نشر بعد وفاة إدوارد سعيد، وتحديدا عام 2006، وترجمه إلى العربية أيضاً فواز الطرابلسي عام 2015، وصدر عن دار الآداب في (270) صفحة. تذكر زوجة سعيد في مقدمتها للكتاب أنه توفي وهو يؤلف في الكتاب دون أن يضع اللمسات الأخيرة عليه، لذلك قاموا هم بإنجاز هذه المهمة، ويصلح الكتاب كما أشار أحد المقدمين إلى أن يكون الكتاب أيضا دلالة على الأسلوب المتأخر لإدوارد سعيد نفسه، من حيث استقرار أسلوبه، والأفكار التي ظلت تشغل باله، وكيفية مناقشته لتلك الأفكار.

يمنح سعيد الموسيقى الغربية كل اهتمامه، ولم يتوقف عند الموسيقى العربية، ولم يذكرها في الكتاب. صحيح أن الكتاب غير مخصص في دراسة الموسيقى الغربية غير أنه شمل «مجموعة الدراسات والقصائد والروايات والأفلام والأبرات التي كتب عنها»، ومع ذلك فللموسيقى حضورها في الكتاب، وخاصة فاغنر وبيتهوفن والموسيقى الأوبرالية التي شاهد شيئا منها في صباه في القاهرة كما قال في كتابه «خارج المكان»، ويخصص الفصل الثالث منه، أي كتاب «عن الأسلوب المتأخر» للحديث عن غلين غولد الذي يصفه بـــ «العازف المُعجز المثقف». (ينظر الكتاب، من ص228-201)

يدفع موقف إدوارد سعيد من أغاني أم كلثوم أن يستطرد المرء قليلا في هذا الموضوع، فمن اللافت للانتباه أن الشاعرة الفلسطينية فدوى طوقان في أحد حواراتها تتخذ الموقف ذاته من أغاني أم كلثوم، تقول عن أغاني الستّ: «إنها تعيد وتكرر كثيرا في الغناء. تكون تسمع إليها وتنتظر ما بعد لكنها تكرر وتعيد بدون جدوى، شيء يجعلك تملّ، أنا أحب صوتها لكنها تكرر»، على الرغم من أن فدوى طوقان كانت تحب أم كلثوم في شبابها كما قالت، لكنها مع التقدم في العمر، واختلاف الذائقة وتبدلها رأت ما رأت في أغانيها. إن كلماتها تكاد تتطابق مع رأي إدوارد سعيد، فهل كانت فدوى طوقان تعيد رأي سعيد وتتبناه؟ أعتقد على نحو شخصي أنها كانت متأثرة به إلى حد كبير، فلا أظن أنها لم تطلع على الكتاب أو لم تقرأه، فقد نشر عام 2000، وأجري الحوار مع الشاعرة عام 2003، في السنة التي توفيت فيها، ولا شك في أنها محض صدفة أن ترحل الشاعرة عن هذه الدنيا في العام نفسه الذي رحل فيه إدوارد سعيد، وبينهما ثلاثة أشهر فقط.

من ناحية أخرى فإنني أرى أن رأي إدوارد سعيد في أم كلثوم لم يكن غائبا عن محمود درويش؛ فنقرأ نصّا مختلفا عما ورد عند سعيد في رؤاه حول أمّ كلثوم، يصرّح به الشّاعر درويش في كتابه «أثر الفراشة» (دار الريس، يناير، 2008)، جاء هذا النّصّ تحت عنوان «إدمان الوحيد» (ص244-242)، يرى الشّاعر أنّ أمّ كلثوم الّتي يستمع لها كلّ ليلة «تقطّعنا مقطعا مقطعا بوتر سحريّ لا يحتاج إلى عود وكمان»، وعلى عكس ما وجد إدوارد سعيد وجزئيا عند فدوى طوقان من الملل والرّتابة في صوتها، وأنّه أشبه بتأوّهات من يعاني من الألم المعويّ عند سعيد، فإنّ درويشا يرى في «حنجرتها جوقة إنشاد وأوركسترا كاملة وسراً من أسرار االله»، ويبتعد درويش أكثر في التّجلّي مستفيضا في وصف تأوّهاتها المملولة عند سعيد؛ فيصفها بأنّها متلألئة كماسة مكسورة باستطاعتها «أن تقود جيشا إلى معركة»!

فهل كان درويش يردّ في هذا النّصّ على إدوارد سعيد ويحاوره؟ لا شكّ في أنّ درويشاً قد اطّلع على رأي إدوارد سعيد وقرأ كتابه «خارج المكان»، لا سيّما وأنّه يذكر مفاصل مشتركة فيما كانت تؤدّيه أمّ كلثوم من تأوّهاتها وصرختها الغنائيّة، ويعلن عدم ضجره من طول حفلتها، فـ «لهمستها أن تمهل اللّيل فلا يتعجّل قبل أن تفتح هي أوّلا باب الفجر»؛ ولذلك تراه منتشيا بما يسمع نشوته بكأس «الخمرة الّتي تسكرنا ولا تنفد» وهي كذلك «تجنبنا الشقاء بالغناء».

ثمّة ما يستدعي الوقوف والتّأمّل فيما أورده الكاتب والمفكّر إدوارد سعيد والشّاعر محمود درويش المحمّل بالشّقاء والتّعب الوجوديّ، فممّا لا شكّ فيه أنّ طبيعة التّكوين العقليّ والعاطفيّ والظّروف الاجتماعيّة المختلفة لدى كلّ منهما انعكست كلها على تلقّي تلك الأغاني الطّويلة الّتي تحاكي العاطفة أكثر ممّا تحاكي العقل، لذلك ترى درويشا الشّاعر الحزين الّذي حرم من متع كثيرة يتماهى مع أمّ كلثوم بما تمدّه أغانيها من شجن وموسيقى يحتاجهما الشّاعر الكبير، أو على الأقلّ يتناغمان مع ما في نفسه من تشبّع بالموسيقى الرّتيبة الهادئة الّتي تسير وفق هارمونيّة معيّنة، على الرّغم من أنّ درويشا كذلك ممن يستمعون ويستمتعون بالموسيقى الغربيّة.

إن إدوارد سعيد وتنشئته الأرستقراطيّة وميله إلى الفكر دفعاه إلى أن ينفر من أم كلثوم أشدّ النّفور بالإضافة إلى طفولته التي كانت مشبعة بالروح الموسيقية الغربية، فلا تحوز أغاني الست منه في كتابه سوى جزء من فقرة لم تكن مخصّصة للحديث عنها، وإنّما للحديث عن الموسيقى الغربيّة الّتي افتتن بها المفكّر إدوارد سعيد أيّما افتتان، بينما يسرد درويش بلغة مشبعة بالحبّ والاستعارة كثيرا من التّفاصيل الّتي أخذت أزيد من صفحتين بنصّ مستقلّ، وهذا بحدّ ذاته ذو دلالة بالغة الأهميّة ليكتب عن أمّ كلثوم ما كتب؛ فهو الوحيد المدمن للسّهر والشّوق والعشق وأغاني أمّ كلثوم كذلك، وفي النهاية لا مندوحة عن أن لكل شخص ذائقته التي لا يعيبه فيها أحد.

أيلول 2021

إضاءات

بالسلامة... سيدة العالم الأولى

بقلم: نبيل عمرو

الدستور الألماني سمح للسيدة أنجيلا ميركل بالبقاء في سدة الحكم ستة عشر عاما، ومثلما أعلنت بأنها ستغادر، أعلن الجمهور الألماني بأن حزبها سيغادر معها.

خلال الستة عشر عاما أنجزت السيدة ميركل الكثير لبلادها ولأوروبا والعالم، وعالجت العديد من القضايا الشائكة خصوصا على الصعيد الاقتصادي، بتوازن كان فعالا وحاسما، انطلاقا من مكانة دولتها في تراتبية الاقتصاديات الكونية الكبرى.

قادت السيدة ميركل دور ألمانيا في الأزمات المالية العاصفة التي لم تنجو منها أمريكا في حينها، وفي زمن تصاعد فيها عصف التنافس الاقتصادي بين القوتين الأولى والثانية.. أمريكا والصين، وألقى بثقله ووقائعه ومفاجآته على ألمانيا الأكثر رسوخا اقتصاديا في أوروبا.

ولعبت ألمانيا بقيادتها دور المنقذ الأساسي لدول أوروبية عديدة كادت تنهار تحت ثقل الأزمات وبجدارة مستحقة صارت السيدة ميركل سيدة أوروبا الأولى بلا منازع.

وإلى جانب أدائها القيادي المميز، فهنالك خصائصها الشخصية التي وفرت لها ثقة واحترام وإعجاب شعبها والعالم بها.

كانت تمارس حياتها كمواطنة عادية، لم تتخل عن شقتها الصغيرة بفعل إغواء المكانة الكبيرة، لم يرد اسمها في أي قضية فساد أو استغلال نفوذ.. إذا ما الذي أدى إلى تراجع حزبها عبر صندوق الاقتراع، من المرتبة الأولى طويلة الأمد إلى المرتبة الثانية ولو بفارق ضئيل، إنه السبب الذي يصعب قياس تأثيره الحاسم في مصائر الزعماء طويلي الأمد في مواقعهم.. هو الملل والقلق من أن يصبح الزعيم أو القائد أو الرئيس حالة متكررة. فما إن يستمع المواطن لنشرة اخبار حتى يسمع ذات الاسم وما إن يشاهد التلفزيون حتى يرى ذات الهيئة، وما إن تعترض البلاد أزمة تشد انتباه المواطن، تتجه الرهانات التلقائية نحوه بسؤال ماذا يفعل وماذا لا يفعل، وإذا كان التكرار هذا وطول المدة ينتجان مللا، فالملل ينتج حاجة إنسانية كما لو أنها غريزية للتغيير والتجديد، ولقد حدث ذلك في كل بلدان ونظم الربيع العربي، حيث متوسط عمر الرئيس في الموقع ثلاثين سنة، كان الكون خلالها يتغير عدة مرات إلا الرئيس لا يغير ولا يتغير، وفيما يشبه الجائحة ذهبوا جميعا.

قانون كهذا لا ينجو منه حتى أكثر الناجحين نجاحا، ذلك أن الحسابات المألوفة والنمطية يبددها المزاج الشعبي الذي يحضر عند صندوق الاقتراع ليفاجئ الحسابات والإنجازات وحتى القدرات.

غادرت السيدة ميركل موقعها على رأس رابع أقوى دولة في العالم، لم تذرف الدموع فلربما شعرت ببعض حزن على الخسارة الانتخابية لحزبها، إلا أنها إنسانيا سوف تكون سعيدة بعودتها إلى العيش الهادئ في شقتها الصغيرة وبين جيرانها اللطفاء، وقد تجود بعد أن خرجت من مكتبها الزجاجي في برلين، على حزبها بنصائح مهمة قد تساعده على استعادة السلطة ولكن من دونها.

بعد خلو العرش الأوروبي من امرأة استثنائية فالسؤال، كم سنة أو عقدا ستنتظر أوروبا ظهور نسخة ثانية عنها فلنراقب لعلنا نرى.

الرئيس.. خطاب هادئ وصارم وعام حاسم

بقلم: سامي سرحان

أجمعت القراءات لخطاب السيد الرئيس محمود عباس أمام الدورة 76 للجمعية العامة للأمم المتحدة، على تاريخية الخطاب ووضوحه ونفاذ صبر الشعب الفلسطيني وقيادته من تنكر دولة الاحتلال الإسرائيلي للحقوق التاريخية والقانونية والشرعية غير القابلة للتصرف للشعب الفلسطيني. وأول ما بدأ به الرئيس أبو مازن من هذه الحقوق هو حق العودة عندما أبرز أمام الجمعية العامة صك ملكية في صفد التي هجر منها عام 1948 مؤكدا أن سبعة ملايين فلسطيني شردوا من ديارهم ونهبت ممتلكاتهم لهم حق العودة إلى ديارهم والتعويض عن معاناتهم طوال 73 عاما من عمر النكبة وأن حق هذه الملايين هو حق فردي لا يمكن لأحد أن يصادره أو يتنكر له إضافة إلى حقهم الجماعي في بناء مؤسساتهم واختيار ممثليهم ونظام الحكم الذي يدير شؤونهم. وقد حسم الرئيس أبو مازن أمر حق العودة وحق الشعب الفلسطيني في العيش بحرية ومساواة على أرض فلسطين التاريخية كما حسم التأويلات التي رافقت قرارات القمة العربية التي أسست للمبادرة العربية وثاني ما تناوله الخطاب وضع مدينة القدس، فأكد أن القدس الشرقية هي عاصمة دولة فلسطين وأبرزت الصور المعلقة خلف الرئيس المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وهما إرث إسلامي ومسيحي خاص بالمسلمين والمسيحيين والشعب الفلسطيني وليس لليهود من إرث في القدس ولا حق ولا عاصمة.

وثالث ما أكد عليه الخطاب أن قرار التقسيم رقم 181 لا زال قائما وقد يكون الملجأ لمطالبة الفلسطينيين بحقهم في إقامة دولتهم على 44% من أرض فلسطين التاريخية، ولعل أهم ما ورد في الخطاب هو التجديد الزمني بعام واحد للتعامل مع حقوق الشعب الفلسطيني وصولا إلى إقامة دولته المستقلة في حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشرقية والتجديد الزمني هام للاعتبارات التالية: أولا أن المجتمع الدولي متخاذل يصدر قرارات تتعلق بحقوق الشعب الفلسطيني ولا يعمل على تنفيذها وقد وصل عدد هذه القرارات إلى أكثر من 800 قرار، ثانيا إن المجتمع الدولي يقر بحل الدولتين ولا يعمل على تطبيقه ولا تعترف بعض الدول التي تقر بحل الدولتين بدولة فلسطين على أرض الواقع وتعترف بدولة الاحتلال الإسرائيلي وتتغاضى عن انتهاكاتها للحقوق الفلسطينية، ثالثا: في ظني أن التحديد الزمني موجه في الأساس إلى الرئيس جو بايدن وإدارته التي لم توطن نفسها على الانخراط في عملية سياسية بين الفلسطينيين والإسرائيليين وتتعامل مع القضية الفلسطينية كقضية إنسانية تتعلق فقط في تحسين ظروف حياة الفلسطينيين كتقديم بعض المساعدات المالية لبعض المشاريع والمنظمات الأهلية والمستشفيات في القدس المحتلة، ولا ترى في حل الدولتين الذي تكرر الاعتراف به مبدأ يمكن التعامل معه في الوقت الراهن بحجة أن الحكومة في إسرائيل ضعيفة ويمكن سقوطها في حال طلبت منها الإدارة الأمريكية الانخراط في مسار التسوية وقد أدرك الرئيس أبو مازن أن حكومة إسرائيل الهشة والضعيفة لا نية لديها في التفاوض مع الفلسطينيين حول حل الدولتين وخاصة في الفترة التي يتولى فيها بينت رئاسة الحكومة والتي تمتد لعامين قادمين تكون فيها ولاية الرئيس بايدن قد شارفت على الانتهاء ودخل في عام الانتخابات الأمريكية، رابعا: ليس من سياسي ممن عرفنا أطول بالا وأكثر صبرا من الرئيس أبو مازن وتمسكه بالسلام القائم على العدل وحفظ حقوق الشعب الفلسطيني ولكنه أعلن في خطابه التاريخي أن صبره قد نفذ وهو يرى التوسع الاستيطاني يلتهم الأمل بإقامة دولة فلسطين وفق حل الدولتين، ويرى تهويد القدس وهدم أحيائها وبيوتها ومصادره أرض الفلاحين وهدم بيوتهم واعتقالهم وقتلهم صبر الرجل قد نفد ولكنه واضح وهادئ وصارم وأن عاما واحدا من الآن يكفي لترسيم الحدود بين إسرائيل ودولة فلسطين وإنهاء الاحتلال، فمؤسسات دولة فلسطين قائمة وقادرة على إدارة شؤون شعب فلسطين بأفضل السبل والكفاءة. لم يغلق الباب أمام السلام المتفاوض عليه من خلال الرباعية الدولية ولا زال عند موقفه برفض تفرد الإدارة الأمريكية في تسوية الصراع لانحيازها الكامل إلى المحتل الإسرائيلي رغم ما يبدو من تغيير ضئيل في موقف إدارة بايدن من القضية الفلسطينية وحقوق الشعب الفلسطيني والحديث عن حل الدولتين.

ولعل أهم ما يسند موقف الرئيس أبو مازن ثقته بشعبه واستعداده للتضحية من أجل نيل حقوقه المشروعة التي أقرها واعترف بها المجتمع الدولي وكذلك ثقة الشعب الفلسطيني بقيادته المجربة التاريخية وعلى رأسها الرئيس محمود عباس، عام ينتظره الجميع ما قد يشهده من أحداث على مستوى الوطن وعلى المستوى الدولي فإنما عودة الصراع العربي - الإسرائيلي والفلسطيني الإسرائيلي إلى نقطة الصفر وسحب الاعتراف بإسرائيل وإما إجبار إسرائيل على الاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني التي يقرها المجتمع الدولي وقبلت بها منظمة التحرير الفلسطينية القائم على إقامة دولة فلسطينية في حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس الشرقية وحق عودة اللاجئين إلى ديارهم وممتلكاتهم.

خياران على العالم أن يتوقف عندهما ويختار أيهما أقرب إلى الإنصاف والعدل وتجنيد العالم والمنظمة، ويلات استمرار صراع صفري بين الفلسطينيين أصحاب الحق والاحتلال الإسرائيلي.

الحدث الفلسطيني

صحيفة أسبوعية متخصصة

تصدر عن شركة الحدث للإعلام والطباعة والنشر

رئيس مجلس الادارة
سامي سرحان

رئيس التحرير
رولا سرحان

المدير العام
طارق عمرو

بيرزيت، شارع عطارة
صندوق بريد 31، فلسطين
هاتف: 5372 281 2 970+
فاكس: 5376 281 2 970+
alhadath@alhadath.ps
www.alhadath.ps
facebook.com/alhadathnews
https://twitter.com/Alhadath_news1

الإخراج الفني

idesign...
www.idesign.ps

الطباعة: مطابع الأيام – رام الله

ويمكنكم متابعتنا أيضاً من خلال

facebook.com/alhadathnews

https://twitter.com/Alhadath_news1

SENSODYNE

هل تتسبب
هذه بآلام في الأسنان؟

يمكن أن يبدأ التخفيف
بالحساسية منذ اليوم